

التشلوخ

أصلها ووظيفتها في السودان وادي النيل الأوسط



يوسف
قنصل
حسن



أخي وصديقي وزميلتي الأستاذ
العلامة طيب الذكر المغفور

لكن لا بد من حفر حجر على قبره

أهدي هذا الكتاب إلى روحك
الطاهرة في عليها أعرافاً بفضلك وتقديراً
لعلمك ووفاء لخالصتك

في سنة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

تصدير

هذه محاولة لدراسة تاريخ « الشلوخ » أو الفصادات التي تزين وجوه كثير من السودانيين حتى عهد قريب . وقد تعرضت في هذا البحث الى تاريخ هذه العادة ومدلولاتها الاجتماعية والجمالية . وقد بذلت غاية جهدي في الاستعانة بالمصادر الخطية والروايات الشفوية وما استطعت جمعه من مشاهداتي خلال عقد من الزمان أو يزيد . وقد أوردت أسماء جميع المصادر الخطية التي اعتمدت عليها في ثبت المراجع . ولكن وجدت من العسير على أن أسجل أسماء جميع من أعانوني في هذه الدراسة ، إذ أن منهم من تفضل عليّ بأسماء بعض الكتب ومنهم من أفادني ببعض الأخبار القيمة ومنهم من لم أتحدث اليه بل كانت الشلوخ التي تزين خديه خير عون لي وأبلغ دليل لما أنا بصدده .

ومن هذا النفر الكريم الذين قدموا لي شتى أنواع العون البروفسير عبد الله الطيب ، والأستاذ الدكتور عون الشريف قاسم ، الأستاذ الدكتور عبد العزيز الخويطر ، الأستاذ حمزة المزني ، الدكتور عبد القادر محمود الدكتور عبد الغفار محمد أحمد ، الأستاذ على الملك ، السيد عبد الله حسن سالم ، الدكتور بشير إبراهيم ، السيد الطيب محمد الطيب ، السيد عمر كبوش ، السيد يحيى محمد إبراهيم ، الدكتور سيد حامد حريز ، الأستاذ بابكر دشين ، البروفسير روبرت سارجنت ، الدكتور ركس إسمث ، الأستاذ أحمد عثمان إبراهيم ، الدكتور تاج السر حران ، السيد أحمد موسى سعيد الدكتور احمد محمد على الحاكم ، الأستاذ محمد عمر بشير ، السيد يوسف محمد علي ، السيد محمد عثمان عباس ، السيد إبراهيم عبد الله ، السيد هاشم

محمد صالح . الأستاذ عثمان حسن أحمد . الآتسة أ. ح. الفكي ، الأستاذ
عبد الماجد يوسف أبوسبيب . البروفسير بيتر شيني . الأستاذ نجم الدين محمد
شريف ، الدكتور محمد علي الريح ، البروفسير رتشارد هيل . الأستاذ مصطفى
عبد الرحيم ، والمرحوم الدكتور براين مكوك . فلهؤلاء جميعا وإلى من فات
على ذكر أسمائهم خالص شكرى وعظيم امتنانى على كل المعلومات القيمة
التي أمدونى بها .

وللاستاذ عبد الرحمن النصرى . والأستاذ محمد محبوب مالك ،
والسيد أحمد محمود . والسيد غالب بر والسيد حسن كنه عظيم شكرى
وتقديرى على الصور الفوتغرافية التي دلونى عليها فى كتب الرحالة أو فى
ارشيف قسم التصوير بوزارة الثقافة والأعلام وللأستاذ على عبد الله
أسمى آيات الشكر وعاطر الثناء على فضله برسم الصور واعداد الإيضاحات
وللزلاء الذين تكمروا بقراءة مسودة هذا الكتاب شكرى على ما
أبدوه من ملاحظات قيمة .

ولزوجى توحيدة أجزل الشكر واوفى التقدير لما أبدت من ملاحظات
وتشجيع كانا خير عون لى طوال الفترة التي كنت أجمع فيها مادة هذا
البحث وكتابته .

لهؤلاء جميعا أسمى آيات الشكر والثناء - وعلى الله الاتكال وبه
التوفيق

يوسف فضل حسن

بسرى الخرطوم

غرة جمادى الآخرة ١٣٩٥ هـ

١١ يونيو ١٩٧٥ م

مدخل

يستعمل السودانيون كلمة « الشلوخ » للدلالة على الخطوط المرسومة على الحدود من أثر القصد بالموسى . ولا يشمل هذا المفهوم العلامات الموسومة على الجباه كما هو الحال عند القبائل النيلية فى جنوب السودان ، أو العلامات الناتجة عن الكى بالنار أو بعض المواد المحرقة على الوجه مثل ما يوجد عند النوبة فى كردفان . ويضع السودانيون الشلوخ أساساً للتمييز بين قبيلة وأخرى وأيضاً بقصد الزينة ولأسباب أخرى سنفصلها فى موضعها من هذه الدراسة .

ومع أن عادة الشلوخ التى تزين وجوه كثير من السودانيين فى الجزء الشمالى من السودان قد أخذت فى الانحسار مؤخراً إلا أنه قد استرعى انتباهى قبل بضعة أعوام وخلال دراستى لهجرة القبائل العربية الى السودان غلبة ظاهرتين على من يتمسكون بالنسب العربى . الأولى هى إنتشار الشلوخ بين المجموعات العربية والنوبية المستعربة التى تقطن على شواطئ النيل ، والثانية هى إدعاء هذه المجموعات أن الشلوخ عادة عربية وسمة تميز العرب من سواهم من الشعوب الوطنية الأخرى كالنوبيين ومن نزحوا الى السودان خلال القرن التاسع عشر كالمصريين والشوام والأتراك « والفلاته » .

ولما كانت عادة الشلوخ هذه منتشرة بين النوبيين الذين ظلوا يسكنون على شاطئ النيل منذ فجر التاريخ على الأرجح ، وبالتأكيد قبل ان تختلط بهم القبائل العربية عند هجرتها الى السودان والتى بلغت ذروتها فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، ونسبة لانه لم يثبت أن الشلوخ كانت واحدة من التقاليد التى نقلها العرب فى نطاق ثقافتهم للأقاليم التى إنتشروا فيها فى آسيا وأفريقيا ، بل لانجد لها أثراً فى المناطق التى استعربت وتمثلت الثقافة العربية تمثلاً كاملاً على أثر

الهجرة العربية سوى في السودان، رأيت ان ابحث عن تفسير مقنع لهاتين الظاهرتين. ومنذ ذلك التاريخ أخذت في تتبع عادة الشلوخ ونظائرها في منطقتي الشرق الأدنى والسودان في نتائج الحفريات الأثرية والمصادر العربية وكتب الرحالة الأوربيين والرويات الشفوية وغيرها. وكان نتاج ذلك كله هذه الدراسة التي تؤرخ للشلوخ في شمال السودان، أصلها ووظيفتها. أهى موروث وطنى أم عادة عربية وفدت مع المهاجرين العرب... أم هى تجسيد لمفهوم ثقافى جديد اقتضاه التلاحم العربى النوبى.

الشلوخ ومرادفاتها في اللغة :

لم أقف على إشارة صريحة في المصادر العربية لإنتشار عادة الشلوخ بين العرب في جزيرتهم، كما لم أعر على نص يؤكد إستعمال لفظ الشلوخ للدلالة على عملية القصد فى الوجه بقصد وضع علامات مميزة أو سمات خاصة؛ ولكن العرب يستعملون ألفاظاً أخرى للدلالة على عمليات شبيهة بالشلوخ كالفصد والرسم والوشم واللعوط والمشالى.

أ - الشلخ: ورد فى تاج العروس بين جواهر القاموس أن (الشلخ هو الاصل) والعرق (ونجل الرجل) قال ابن عسيب شلخ الرجل وشرخه ونجله ونسله وزكوته وزكيته بمعنى واحد. قال أبو عدنان: قال لى كلابى فلان شلخ سوء وخلف سوء أو نطقته والشلخ فرج المرأة (١). ويقول العلامة اللغوى الشيخ احمد رضا عضو المجمع العلمى العربى بدمشق « الشلخ لغة فى الشرخ على الابدال » والشلخ هو الاصل والعرق: نجل الرجل ونسله شلخ الرجل حسنه... وشلخه شلخا بالسيف اى هبره. وعلق عليها بقوله وتستعيره العامة لترع الفصن يجذبه باليد يجذبه من امه فينشق طولاً... .

(١) محب الدين ابو النض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى : شرح القاموس تاج العروس من جواهر القاموس ، الطبعة الاولى ، بالحمالية ، مصر سنة ١٣٠٦ هـ ج ٢/ص ٢٦٤ ، انظر ايضا محمد بن مكرم بن منظور المصرى لسان العرب، بيروت ١٩٥٥ ج ٢. ص ٣.

والشلخ عند العامة لحاء الفصن والشجرة^(١). ونجد فيما ورد من معاني لكلمة الشلخ ما يرجح سبب اختيار عرب السودان ، وهم في موطنهم الحديد ، لهذا اللفظ للدلالة على إصولهم . فالعلامة أو الشلخ الذي يزينون به وجوههم الدليل على أصلهم وهو السمة التي تميز قبيلة عن أخرى .

ب - أما الفصد هو قطع العرق ، وفصد المريض أى شق عرقه^(٢) والفصاد أو « الفصادة » كما تعرف في العامة السودانية علاج لكثير من الأدواء في هذه البلاد فكثيراً ما يفصد رأس الطفل إذا ظن أنه كبير عن حجمه الطبيعي فصدّين في مقدمة الجبهة وآخرين في مؤخرتها . كما تفصد بطن من يشكو ألماً أو وجعاً حول السرة ، ويعرف « بام صريرة » . وتفصد أجزاء جسم المريض الأخرى لإخراج الدم الفاسد . ويفصد معظم الأطفال السودانيين وهم في الرضاع فصدّين رفيعين أو ثلاثة على كل صدغ كعلاج لبعض أمراض العيون خاصة الرمد وتعرف هذه العملية « بالمداغات » وتكثر بين النوبيين حيث تفشو كثير من أمراض العيون وعادة ماتختفي هذه الخطوط متى ماشب الطفل ، إلا أنها عند النوبيين تظل ظاهرة كالشلخ . والسبب في ذلك أن الفصد غالباً ما يكون طويلاً وعميقاً . ولذا يخطئ بعض الناس فيخلطون بين هذه « المداغات » والشلوخ .

ج - الوسم هو أثر الكي والجمع وسوم : ويقال وسمه وسماً وسمه إذا أثر فيه بكى والوسام ما يوسم به البعير من ضروب الصور . وقال الليث الوسم أثر كية أما قطع في أذن أو قدمه تكون علامة له^(٣) وجاء في تاج العروس أن الوسم هو أثر الكي يكون في الأعضاء^(٤) وذكر في حديث شريف عن أنس رضي الله عنه قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم

(١) أحمد رضا : معجم من اللغة يروت ١٩٥٩ ، ج ٣ ص ٣٦١ .

(٢) الزبيدي : نفس المصدر ، ابن منظور المصري ، نفس المصدر ، ٣٦٦/٣ .

(٣) ابن منظور لسان العرب ، ج ١٢ ، ٦٣٥ - ٦٣٦ .

(٤) الزبيدي شرح تلج المروس ج ٩ ، ٩٢ - ٩٣ .

بأخ لي بخنكه وهو في مربد له فرأيته يسم شاة (١)

الوسم هو الاسم المطلق العام ولكن بعض المحققين يسمون كل سمة باسم خاص وقد ذكر الثعالبي بعض سمات الابل في «فقه اللغة» وهي الطاع والدقة والخياط والعلاط (٢). وقد نقل العرب فيما ترجع عملية الوسم هذه الى السودان واستعملوها لتمييز دوابهم من ابل وبقر وغنم عن سواهم. واتخذت كل قبيلة وصماً لدوابها، وربما كان هذا الوسم صوراً مماثلة لوسم ماشيتها في الجزيرة العربية، تناقلته عن أسلافها حتى صار علامة مميزة لها وسمة تميزها عن سواها. وعندما تكبر القبيلة وتتعدد بطونها إثر مصاهرة أو تحالف تطور وسمها الأصلي بإضافة بعض التعديلات له. ونجد أمثلة مفصلة للوسم عند آبالة كردفان في دراسة رائدة لهارولد ماكايكل (٣)، كما ان الشيخ عبد الله يوسف القاضي قد افرد صحائف من كتاب النخيل لوصف الوسم المستعملة عند عرب السودان (٤)، ولاشك أن الإهتمام بوضع الرسوم هذه على الابل والغنم والبقير يعني محاولة للمحافظة على هذه الثروة التي تمثل العمود الفقري في حياة البدو الاقتصادية من السرقة والنهب والضياع. إذ في المحافظة عليها وهي تجوب الصحراء طلباً للكلأ والماء، صيانة للكيان للإقتصادى للقبيلة.

ومع أن الوسم نوع من العلامة توضع أساساً على الدواب نتيجة كى أو قطع فقد ورد في كتاب «الأغانى» من أن شخصاً قد وسم: وجاء في ذكر يزيد ابن الطثرية وهو يزيد بن الصمة أحمد بنى سلمة الخير بن قشير بن كعب ابن عامر بن صعصعة، والطثرية امه. وكان أبو جراد أحد بنى المتفق بن عامر ابن عقيل أسر بن الطثرية فمكث عنده زمناً ثم خلاه. وأخذ عليه إصراراً ليعث له بفدائه أو ليأتيته بنفسه وأهله فلم يجد فداء فاحتمل بأهله حتى دخل

(١) محمد بن اسماعيل البخارى، صحيح البخارى، القاهرة (د. ت) ج ٧ ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) ابو الفرج الاصفهاني، كتاب الأغاني، طبعة بولاق (د. ت) ٧ ص ١١٠.

(٣) H.A. MacMichael, *Camel Brands in Kordofan*, Cambridge, 1913.

(٤) عبد الله احمد يوسف القاضي، كتاب النخيل (توجد نسخة خطية منه عند ابنه السيد

عبد الرحمن عبد الله وزير الخدمة العامة والاصلاح الادارى.

على أبي جراد فوسمه سمة ابله . فسمتهم حلفاء المنتفق الى اليوم يعيرون بذلك
الوسم . وقال بعضهم يهجوهم :

« عليه الوسم وسم ابي جراد »

والوسم للانسان بهذه الصورة يكون غالباً بالكى بالنار بمحيدة تسمى
الميسم وقد تكرر هذا المعنى في أبيات لجرير يهجو بها الفرزدق . كقوله :
رفع المطي بما وسمت مجاشعاً والزبيرى يعوم ذو الإجلال
وايضاً في قوله :

ولقد وسمت مجاشعاً ولتغلب عندي محاضرة وطول هوان
ويقصد جرير أنه جعل لهم سمة ثابتة باقية والصق بهم عاراً لا يمحي بهجائه
والأقرب أن يكون مكان الوسم . في الهجاء خاصة . هو الأنف
ويدل على ان كلمة الوسم اقترنت بالأنف صراحة في قول جرير :

ولقد وسمت مجاشعاً بأنوفها . ولقد كفيتك مدحه ابن جعال
واقترنت بالأنف ضمناً في قوله :

الم ترني وسمت بنى نمير . وزدت على أنوفهم العلابا (١)
(والعلابا وسم في طول العنق)

ويتكرر لفظ « وسم » في مواضع أخرى من ديوان جرير :

لما وضعت على الفرزدق ميسمي * وضعا البغيث جدعت أنف الاخطل
كأنه يريد أن يقول وضعت علامتي على أنفه . ونجد نفس المعنى عند شاعر آخر :
ولو غير أخوالي أرادوا نقيضي جعلت لهم فوق العرائن ميسما
ويتكرر نفس المعنى في قول الله تبارك وتعالى : « سنسمه على الخرطوم »
وقيل ان معنى الآية سنخطمه بالسيف فنجعل ذلك علامة باقية وسمة ثابتة ما
عاش وقيل سنسمه أى سنكويه .

(د) الوشم :

قال ابن شميل : الوسوم والوشوم ، العلامات . وقال ابن سيده

(١) انظر : نقائض جرير والفرزدق ، تحقيق انتوني اشل بيفان ، لايدن ، ٥ : ٩
الجزء الاول ص ٤٥١ و ٩٠٠ .

الوشم ماتجعله المرأة على ذراعها بالإبرة ثم تحشوه بالنار ، وهو دخان الشحم ووشم اليد وشماً : غرزها بإبرة ، ثم زر عليها النّور وهو التليج . واستوشمت المرأة أرادت الوشم أو طلبته . وقال أبو عبيد : الوشم فى اليد . وذلك أنّ المرأة كانت تغرز ظهر كفها ومعصمها بإبرة أو لمسه حتى تؤثر فيه ، ثم تحشوه بالكحل أو النّور فيزرق أثره أو يخضر (١) . وقال نافع الوشم فى اللثة « وبه فسر الحديث لعن الله الواشمة والمستوشمة » . قال ابن الاثير « والمعروف الآن فى الوشم انه على الجلد والشفاة » (٢) .

ومع ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى عن الوشم كما جاء فى الحديث أنف الذكر ، لانه يغير صنع الله فانه مازال منتشر فى صور متعددة فى كثير من البلاد العربية خاصة بين النساء . والمعروف منه فسى السودان هو وشم اللثة والشفة السفلى وتعرف هذه العملية « بدق الشلوفة » وتجرى عندما تقترن الفتاة . ولم أشاهد وشماً على الأيدى إلاّ عند بعض النوبيات والكثيريات فى أقصى شمال السودان ولعل ذلك نتيجة مؤثرات مصرية حيث يكثر الوشم على الأيدى فى صعيد مصر . ومهما يكن من أمر الوشم انه لم يتخذ علامة للتمييز بل للتجميل . وقد تغنى كثير من الشعراء بالوشم ولعل أقدم إشارة لذلك وردت فى معلقة طرفة بن العبد :

لحولة اطلال بيرقة فهمــــد تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد
وبالرغم من أنّ عادة ممارسة وشم اللثة والشفتين قد أخذت فى الإنقراض ، كالشلوخ ، نتيجة لانتشار الوعى الثقافى والتحرر من العادات البالية فإنّ قلة من النساء قد أخذن فى وضع وشم جديد على وجوههن . ويعرف هذا الوشم بالتقرايى ، وهو عبارة عن حرف T يوشم على عظمة احد الخدين « الخد الايسر » وهو يماثل احد الشلوخ المستعملة حالياً فى السودان ويعتقد ان التقرايى يصفى جمالاً على وجه المرأة .

(١) ابن منظور لسان العرب ، ١٢/٦٣٨ - ٦٣٩ .

(٢) الزبيدى ، شرح تاج العروس ، ٩ ، ٣٩ انظر ايضا محمد بن اسماعيل البخارى ص ٣٠٦

(هـ) الألعاط :

لعط أى كوى فم ، عرض العنق . ومنه الحديث الشم يف انه عاد البراء ابن معرور واخذته الذبحة فأمر من لعطه بالنار أى كواه فى عنقه . ولعطه بسهم أى حشاه به . ولعط بعين أى أصابه وهذا مجاز . واللعة سواد بعنق الشاة وهى لعطاء . . . ويقال شاة لعطى بيضاء عرض العنق ونعجة لعطاء ودى التى بعرض عنقها لعطة سوداء وسائرهما أبيض .

واللعة (أو العلة) خط سواد أو صفرة تخطه المرأة فى خدها للترزين به . والألعاط جمع لعط ، خطوط تخطها الحبش على وجهها ومنها قولهم حبشى ملعوط (١) .

ويستتج من ذكرها فى قواميس اللغة وغيرها من المؤلفات العربية أنها عادة قديمة عند الحبش ومازالت الألعاط هذه منتشرة بين الأحباش ، رجالاً ونساء وهى شديدة الشبه بالشلوخ فى بعض ملامحها ، وسأعود لهذه النقطة فى شئ من التفصيل فى موضع آخر من هذه الدراسة .

ومن الألفاظ المستعملة اليوم فى مكة المكرمة للدلالة على الخطوط التى تزين الوجه كلمة المشالى . ولم اهتم الى مصدرها . والمشال هى الخطوط عامة وتصف الخطوط الموجودة على وجه الجمل . والمشال أيضاً يشير الى قطعتين من القماش خيطتا معاً حتى صارتا كالشال أو العمامة وتعرف عملية وضع المشالى على الوجه بالتشريط وهى عبارة عن خطوط ثلاثة تخط بالموسى على الوجه (٢) . ولعل مصدرها شرط أى نزع أو شق يقال شرط الحجام فلاناً بشرطه شرطاً بزغة . وقيل « رب شرط أوجع من شرط شارط » الأول من الإلزام والثانى من بزغ الحمام . والمشرط والمشارط المبضع . والشرط بفتحيتين العلامة ، وأشرط الساعة أى علاماتها (٣) ولا يستعمل هذان اللفظان

(١) الزبيدى شرح تاج العروس ج ٢١٦/٥ ابن منظور المصرى : لسان العرب ح ٣٣٦/٣

(٢) اشكر الاستاذ حمزة المزينى الذى أمدنى ببعض هذه المعلومات .

(٣) الزبيدى ، شرح تاج العروس ، ج ٥/٥ ص ١٦٦ ، عبد الله السنانى ، البنان ، بيروت

١٩٢٧ ج ١ .

في السودان .

وقد جاء ذكر شرط ومشتقاتها في أبيات من الشعر ارتبط بعضها بالأحباش» الذين كانوا يمارسون عادة التشريط (١) ، ولكنني لم أستطيع تحديد التاريخ الذي قبلت فيه تلك الأبيات ومن ذلك قول الشيخ نور الدين الحجارى :
وذو شرط اذا لصف العمامة تعالى الله ما أبى قوامه (٢)
رصبت بشرطه في طول عمرى لأن الشرط آخره السلامة
وجاء ذكرها أيضاً في أبيات من الغزل في الذكر ، قيلت في أواخر القرن السابع الهجرى - الثالث عشر الميلادى - ويرجع أن قائلها من المصريين أو ممن عاشوا في مصر ردها من الزمن إلا أن تلك الأبيات لا تكشف شيئاً عن أصل من قيلت فيه ، وربما كانوا من بعض « الغلمان » الوافدين من الحبشة أو غيرها من الأقطار الأفريقية ، إذ لم يثبت أن المصريين قد مارسوا عادة « التشريط » :

انشد الشيخ بهاء الدين بن النحاس في مליح « مشروط »
قلت لما شرطوه وجسرى دمه القانى على الوجه البق
غير بدع مما اتوا في فعلهم هو بدر ستروه بالشفق
وقال نجم الدين عبد المجيد بن محمد التنوخى :-

أنظر الله وسل قلبك عن محبته لعلك

ملك القواد بغير شرط حسنه والشرط املك

وقال غيره في نفس المعنى :

شرطوه فيكى من الم فغدا ما بين دمع ودم
نائرأ من ذا ومن ذاؤلوا وعقياً ليس بالمنتظم (٣)

(١) انظر ص ادناه .

(٢) احمد الحمى القنائى الارهرى ، ساطع الانوار وغلاصة ما جاء في عبرتى الصحابة الى ارض الحبشة وما يعنى باعلها من الآيات والاحاديث والآثار بولا ق .
١٣١٢ (١٨٩٤) ، ص ٧١ .

(٣) ابن تترى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ج ٨ ، ١٨٤ - ١٨٥

ولعل فله الأختين عن هذه « الشروط » في المؤلفات المصرية اد م
 غير على غير هذه الآيات في كل ما اطلعت عليه من مؤلفات . تد على أن
 عملية التشريط كانت حدثاً طارئاً في تلك الديار كما أن تلك الآيات
 لا تكشف عن العرص الذي عملت من اجله تلك الشروط . ولكن يستدل من
 المصادر المختلفة انني اطلعت عليها ان وضع علامات مميزة في جسم الانسان
 عن طريق الكي بالنار او التقطع بالموسى أو الوشم بالابرة . كان عادة شائعة
 في احرار كبيرة من العالم القديم . ومازالت مثل هذه العلامات مشيرة في بعض
 الأقطار الافريقية كالسودان واثيوبيا وتشاد ونيجيريا والنيجر والسنگال .

الشلوخ فى العالم القديم

فى مصر القديمة وهى أكثر البلاد تأثيراً على الثقافة السودانية عرف قدماء المصريين الوشم . فقد شوهد الوشم على تماثيل بعض المصريين التى يرجع تاريخها إلى قبل « عهد الأسرات » ومع أن بعض العلماء يرجحون أن الوشم حقيقة وجد على ثلاث موميات لنساء من الأسرة الحادية عشر . ويؤكد اكتشاف هذه الموميات أن عادة الوشم يمكن ان يؤرخ لها ببداية المملكة الوسطى فى مصر (١) .

ولم يكن الوشم وفقاً على قدماء المصريين ، اذ أن الكاتب اليونانى اكزنوفون Xenophon (٤٣١-٣٥٥ ق . م) يخبرنا ان قبيلة موسينوقيا Mossyoecians التى تسكن بالقرب من البحر الأسود كانت توشم ظهور أطفالها كما كانت تشم الأجزاء الأمامية على هيئة الزهور (٢). ويؤكد المؤرخ هرودتس أن الطريقين Thracians كانوا يمارسون الوشم أيضاً .

وفى أجزاء أخرى من بلاد اليونان ، وفى بعض جزر ايجه عثر على نوع آخر من علامات التمييز التى تشبه الشلوخ . ففى جزيرة أمورقوس Amorgos اكتشف تمثال من الرخام على هيئة رأس عليه بعض الزخارف الحمراء وهى خطوط رأسية أربعة على الحدة الأيسر وثلاثة أخرى على الحدة الأيمن - والأخيرة شديدة الشبه بالثلاثة شلوخ « مطارق » المعروفة الآن فى السودان (انظر الشكل ١) وفى تمثال آخر فى جزيرة قيقلامس Cyclades تحت خط أفقى على هيئة هلال فوق كل جانب وفى أعلى الجبهة (انظر الشكل ٢) والخطان يكونان علامة تماثل بعض الخطوط التى اكتشفت بين

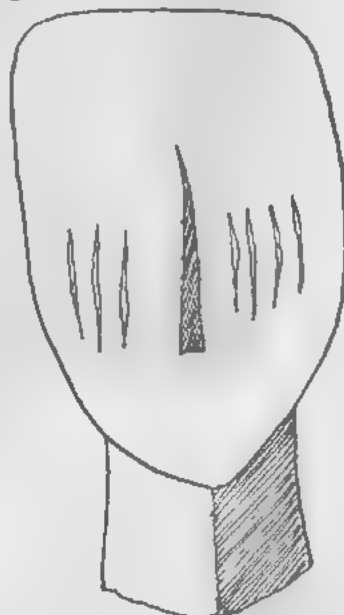
(1) Otto Meinardus, "Tatto and Name: A study on the Marks of identification of the Egyptian Christians" *Wiener Zeitschrift für die Kunde Des Morgenlan* des Band 63 - 64 (1972) 28 - 29.

(٢) نقلاً عن المصدر اللاحق ، حاشية رقم (١٩)

آثار مملكة مروى . وهذان التمثالان يكونان جزءاً من ثقافة كروس
سيروس . . . Keros Syros التي ازدهرت في الألف الثالثة قبل الميلاد.



الشكل ٢



الشكل ١

وفي العراق أيضا اكتشف علماء الآثار خطوطاً مماثلة ، ففي تل حسونة الذي
ازدهرت ثقافته بين نحو سنة ٦٧٥٠ إلى سنة ٥٧٥٠ قبل الميلاد عُثر على جرة
مزخرفة بوجه انسان . وتعتبر هذه الحرة فريدة في نوعها لقدمها . كما أن
الخطوط الأفقية الثلاثة التي تزين كل خد والتي ربما كانت نتيجة وشم تزيد عن
قيمتها الأثرية (انظر الشكل ٣). وفي عهد معاصر لثقافة تل حسونة اكتشف
علماء الآثار في شوقا ماني - Choga-Mani بالعراق وجها مزخرفا من الفخار
على شكل طائر . وقد رسمت على خده ثلاثة خطوط عمودية (كالوشم)
ويعاثل هذا الزخرف في مضمونه ما وجد على جرة تل حسونة ويرجعون
تاريخها الى ثقافة سامرا التي ازدهرت بين سنة ٥٥٠٠ وسنة ٥٠٠٠ قبل
الميلاد (١) .

(1) Joan Oates, "Choga-Mani", 1967 68. "A Preiminary Report" IRAQ,
3, P 129 - 130 Plate XXV



الشكل ٣

ويبدو أن عملية الوشم وما يشابهها من علامات أخرى كخدش أو قطع كانت معروفة عند الشعوب السامية . ومع أن الوشم فيما يبدو قد اتخذ لأسباب جمالية بحتة إلا أن مثل هذه العلامات قد اتخذت للدلالة على الاسترقاق والعبودية عند البابليين (كما جاء في قوانين حمورابي النبوءة ١٤٦ ٢٢٦ . ٢٢٧) (١) . كما أن اليونان والرومان قد اتخذوها كرمز للعبودية أو العار . ويميل الأستاذ روبرتسون سيمث إلى أن عملية الوشم كانت ذات دلالة دينية عند الساميين . فقد كان السريان يصنعون علامة على العنق والرسع رمزاً لمعتقداتهم الدينية . ويبدو أن هذه الفكرة كانت شائعة في ذلك الوقت . اد يروي هيرودوتس عن معبد مصري معين « حرب منه عبد » كان موسوماً بالعلامات المقدسة المميزة لذلك المعبد وأنه بهروبه يخرج من ملكية سيده إلى

(1) *Encyclopedia Biblica*, Jerusalem, 1962. Vol. IV "Ktovit Ka'Ka." pp 378-9

اشكر الدكتور شكيل صالح الذي درّج هذا المصراع من العربية
R. Smith, *Kinship and Marriage in Arabia*, London, 1907. 249.
Herodotus II, 113, quoted for *Encyclopedia Biblica*, IV, 379

الأبد (١) . وتقرر دائرة معارف التوراة والانجيل العبرية أنه لا يوجد مثال واضح على استعمال الوشم كعلامة دينية بشكل ثابت في العهد اليهودي القديم ولكن في الفترة الهلنستية المتأخرة توجد رموز لعادات مشابهة في بعض العبادات . وورد أن علامة الإله ديونيسوس قد طبعت على أجسام اليهود حتى تحميهم من المعتدين اليونان في الأسكندرية . ويرجع حكماء التلمود أن عادة كتابة اسم اله اسرائيل على الجسد أو كتابة رمز عبادة أجنبية يعد عادة شنيعة .

إن عادة الوشم كانت معروفة عند الاسرائيليين . كما إن التوراة قد سمعت الوشم وجاء فيها مامعناه إلا تقطعوا أجسادكم من أجل الموتى ولا تطبعوا أى علامات على أجسادكم (٢) .

ولعل سبب تحريم التوراة للوشم يرجع إلى أنه كان أساساً عادة وثنية؛ وتفسر دائرة معارف التوراة والانجيل العبرية تحريم الوشم وما يشابهه بأنه قد يسبب عاهة أو يحدث تشوها في الجسم تكون نتيجته إهانة لكمال اسرائيل وقديسيها (٣) .

ومن جهة أخرى يبدو أن الكنيسة المسيحية لم تعارض في مبدأ الأمر عملية الوشم ، ففي وصف للقديس يوحنا لرؤياه للكلمة الإلهية أن اسم ملك الملوك واله الآله قد سطر على صدر السيد المسيح ووركه . ويعتبر بعض المؤلفين هذا النص هو مصدر استعمال الوشم بين المسيحيين الأوائل . هذا إلى أنه يجب أن نذكر أن بعض تعاليم الكنيسة ظلت تحرم عملية الوشم صراحة . وبمرور الزمن صار للوشم مدلول ديني . فرغم تناقض الأدلة

(١) *Encyclopedia Biblica*, op-cit, Vol, P. 389, 390

(٢) الكتاب المقدس (أى كتب العهد القديم والعهد الجديد) نشر عام ١٩٦٥ سفر اللاويين ، الأصحاح الحادى والعشرون ، الآية ١-٥ : « وقل لهم لا يتجنس احد منكم لبيت في قوم .. لا يجعلوا قرعة في رؤوسهم ولا يحلقوا عوارض لحاهم ولا يحرقوا حراجه في أجسادهم . مقدسين يكونون لاههم . وجاء في سفر التثنية ، الأصحاح الرابع ، الآية الاولى « لا تحمشوا أجسامكم ولا تجعلوا قرعة بين اميتكم من أجل مت »

(٣) *Encyclopedia Biblica*, op-cit, IV, 378-9

المتوفرة لدينا اتخذ بعض المسيحيين ، والأقباط منهم بخاصة ، الوشم كرمز للعقيدة المسيحية . ففي عهد الأسكندر الثاني (٧٠٥ - ٧٣٠) بطريق الاسكندرية ، وسمت اليد اليسرى لكل راهب قبطي بخاتم محمى على النار يحمل اسم الكنيسة والدير الذى يتمى اليه الراهب وتاريخ السنة الهجرية حتى يسهل التعرف عليه (١) . وقد يكون مصدر هذا الإجراء فى بعض مظاهره هو أحد موجات الإصهاد التى تعرض لها الأقباط على يد بعض المتعصبين من المسلمين ، ولكن الدوافع لهذا العمل التطوعى أعمق من أن تكون ذات صفة تأديبية . ففي خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر شوهد الحجاج الحبشى فى بيت المقدس تزين وجوههم علامات خاصة بسبب «التعميد بالنار» ومصدر هذه العلامات توجيه القديس يوحنا المعمدان (St. John the Baptist) الذى يقول فيه «إن من يأتى بعدي سيكون أقوى منى...» فانه سيعمدهم بالروح القدس والنار (٢) واستجاب الاحباش لهذا النداء الكريم فعمدوا الى كى اطفالهم بالصليب على جباههم وصدورهم وأكتافهم تليصاً وتطهيراً لهم من الخطيئة الاولى (٣) . ولما كان الاحباش كالأقباط يصوون تحت لواء كيسة واحدة . فهناك من الأسباب ما يرجع أنهم قد ادخلوا عادة الوشم على هيئة الصليب بين الاقباط أو أنهم شجعوهم على اقتباسها . والأقباط كانوا (ومارال كثير منهم) يوشمون الجزء الداخلى من ذراعهم . ولعل مما مهد لهذا الاقتباس الاعتقاد السائد بين بعض الأقباط من أن بلادهم ستعرض الى غزو حبشى لا ينجو من الموت فيه الا من طبع الصليب على راسه . ومهما تكن قيمة هذا الاعتقاد الشعبي ، فان انتشار

(١) Otto Meinarelus, op.cit *Wiener Zeitschrift fur die Kunde des Morgenlandes*, 63-64, 39

(٢) الكتاب المقدس . (اى كتب العهد القديم والجديد) ، انجيل متى ، الاصحاح الثالث . الآية ١١ ونص الآية « انا اعمدكم بماء التوبة ولكن الذى يأتى بعد هو أقوى منى ، الذى لست اهلا ان احمل حداده . هو سيعمدهم بالروح القدس ونار » .

(٣) Arnold Von Harff, *The Pilgrimage and Arnold Von Harff* .. which was accomplished in the Year 1496-1499, London, 1946, P. 159.

وشم الصليب يرجع الى عوامل عرفية ودينية . وقد وجد فيه الاقنات ميزة لهم ، وهم قلة ، عن الأغلبية المسلمة ذات الثقافة العربية . كما أن بعض القبط رأوا في الصليب حماية لهم من الأرواح الشريرة والأمراض الخبيثة . ولاشك أن بعضهم قد اتخذ الوشم لأسباب جمالية وزخرفية بحتة (١) .

وانما سقت كل هذه الامثلة لعلامات التمييز في بحر ايجه والعراق والشام ومصر وبلاد الحبشة (التي ساتعرض لها فيما بعد) لابين مدى انتشار هذه العملية في العالم القديم جاعلاً منها خلفية ثقافية لما حدث في السودان في تلك العصور المبكرة .

(1) Otto Meinardus, "op.cit", *Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes*, 63-64, p. 30.

الشلوخ فى السودان القديم قبل الهجرة العربية

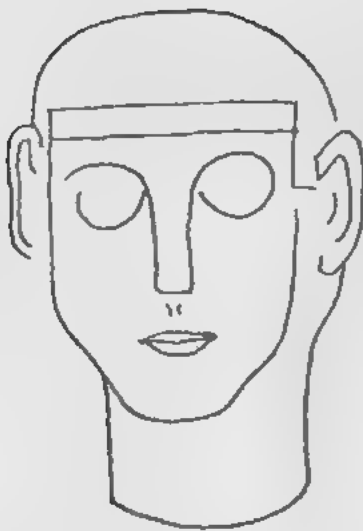
عرفت الشلوخ فى الجزء الشمالى من السودان ، خاصة فى بلاد النوبة
مد العهد المروى (٧٥٠ ق م - ٣٥٠ م) على أقل تقدير . اذ اكتشف
علماء الآثار بعض التماثيل والنقوش لاشخاص مثلخين ترجع الى ذلك العصر .
وتمثل تلك الشلوخ أتماصاً مختلفة وبعضها على هيئة خطوط أفقية مستقيمة ،
وأخرى مائلة وبعضها هلالية الشكل . وقد استمرت هذه العادات منذ ذلك
التاريخ حتى شملت معظم أجزاء السودان الشمالى .

وساعرض فيما يلى نماذج لتلك الشلوخ مبتدأً من بلاد النوبة المصرية فى
الشمال أو عند الشلال الثانى متجهاً نحو الجنوب حتى أرض البطانة أو جريوة
مروى دون اعتبار للتسلسل الزمني اذ ترجع جميعها لعهد سابق للفترة
المسيحية فى السودان

(أ) أما المجموعه الأولى فتكون من تماثيل منحوتين على حجر رملى وقد
كتشفت فى مقبرة شبلول الواقعة على الضفة الغربية من النيل جنوب المحرقه
وشمال قصر ابريم . ويؤرخ لها بين عام (١٠٠ م . و ٣٠٠ م) وعلى جبهة
التمثال الأول (الشكل ٤) شلخان متوازيان على هيئة هلالين ، ومن أسفل
لأرب يحلر خطان مستقيمان مائلان على الخلد الأيمن دون أن يمسا اللثة .
ويشمل التمثال الثانى (الشكل ٥) على خطين متوازيين نقشا وسط الجبهة
حتى يكاد اعلاهما يلامس حافة شعر الرأس (١) .

(ب) وتتكون المجموعه الثانية من تماثيل أيضاً وجدا فى مقبرة رومانية نوبيه
بالقرب من كرنق . وتقع قرية كرنوق KARONG على الضفة الغربية من
النيل وعرب قصر ابريم . وتدل محتويات هذه المقبرة أنها جمعت رفات

(1) D. Randall, M. McIver and Leonard Woolley, *Areika* Vol I, Oxford.
1909, No 5014, Plate-18 and No. 5020 Plate 19 pp 29,30.

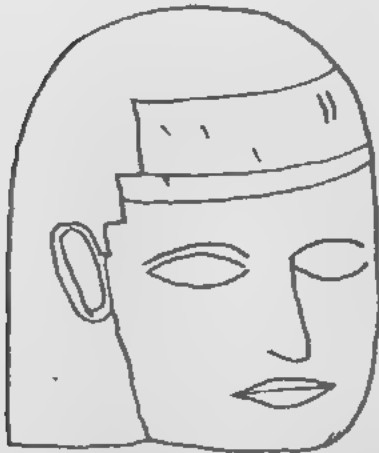


الشكل ٥

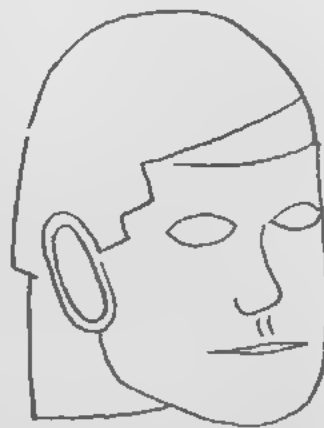


الشكل ٤ -

شخصيات ذات قدر من الثراء وعلى التمثال الاول وهو الرجل . رسم خلال
فى مقدمة الرأس (الشكل ٦) وعلى جبهة التمثال الثانى الذى ربما كان
لامرأة . مايشه خلالين وصعا فوق بعضهما البعض (الشكل ٧) .



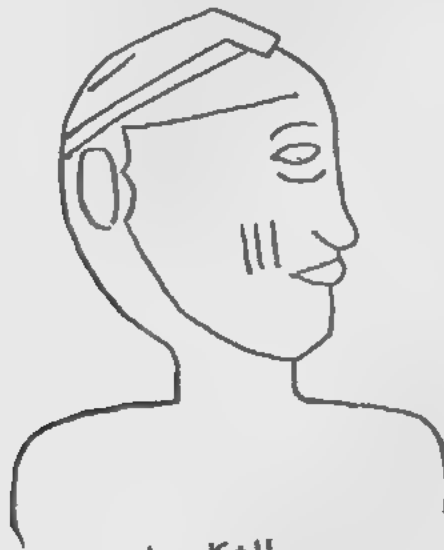
الشكل ٧



الشكل ٦

(ح) وإلى الجيوب من معبد أبو سمبل الواقع على الضفة الغربية للنيل :

جنوب كرنوق عثر في المقبرة رقم ١٢ بالجبانة ٢١٤ على لوحة حجرية تحمل صورة امرأة على خدها الايمن ثلاثة شلوخ عمودية. ويؤرخ لهذه المقبرة بنحو مائتين وخمسين سنة وثلاثمائة سنة بعد الميلاد. ويعتقد ان هذه اللوحة

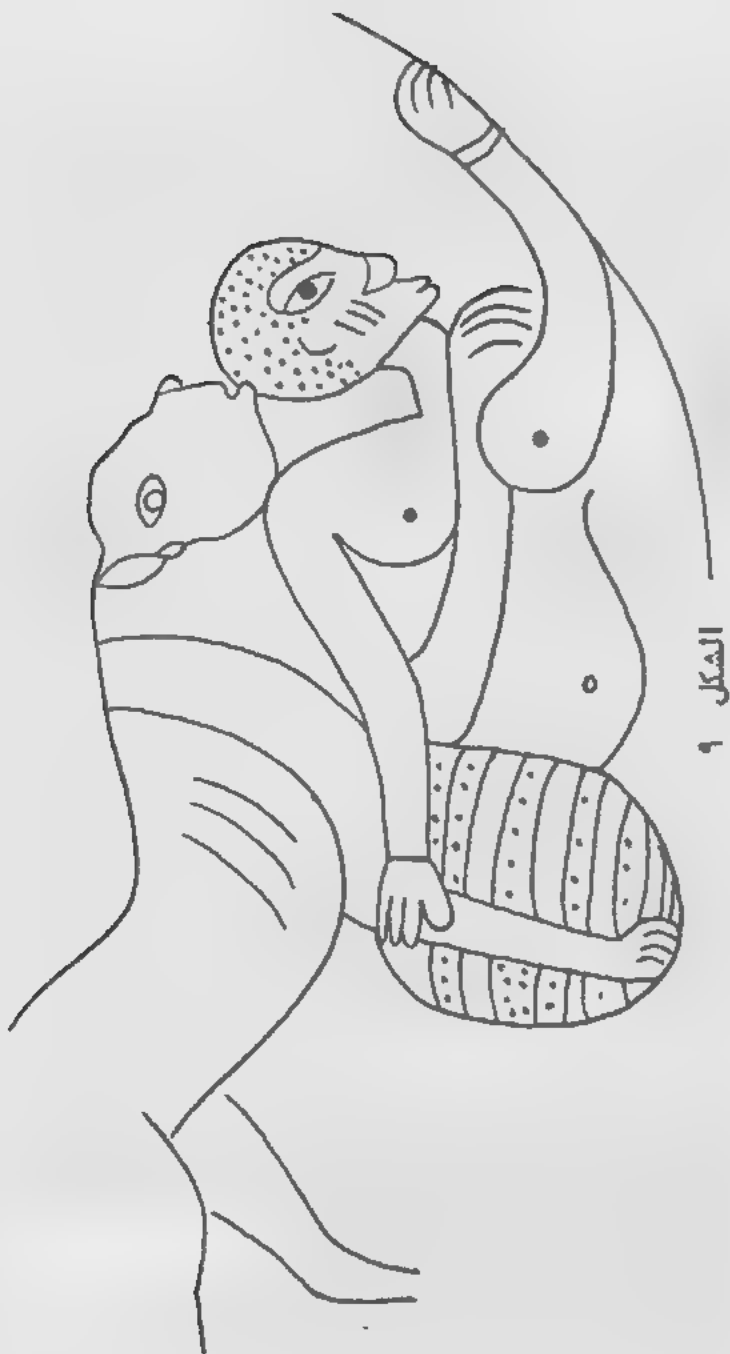


الشكل. ٨

لسيدة من أسرة نبيلة (١) (الشكل ٨). والنموذج الرابع عبارة عن جرة مزخرفة بصورة رجل ينهشه اسد وقد عثر على هذه الجرة في قرية افرص الواقعة على الضفة الغربية للنيل جنوب بلانه. ويزين خد الرجل ثلاثة خطوط عمودية على هيئة (الشلوخ الثلاثة) التي نراها على وجوه كثير من السودانيين في زمننا هذا . وربما قصد الفنان برسمه لهذا الرجل على شكل منهزم ان يرمز الى انه ليس مروباً بل غريباً عن تلك المملكة او عدواً لها (الشكل ٩) (٢).

(1) G. Leonard Woolley and D.R.McIver, *KARNOG, the Roman and Nubian Cemetery*, Philadelphia, Vol. III, p 48, Vol. IV Plate 10 No S 7069 & 7070

(2) W. Fmery and L.P.Kerwan, *Excavations and Sarvey between Wadi es-Sanbus and Adin-dan 1929-31* (Service des Antiquites de Egypte, Mission Archeologique de Nubie, 1929-34) Cairo, 1935, Vol. I, p532, II Pl .29 M.de Villard" Teste Meroitici della Nubia Settentrionale" *KUSH* VIII (1960), PP 91-95 Plate XXIX (a)



الشكل ٩

(هـ) وفي ارقين الواقعة جنوب فرص . عثر على كفن من الفخار على هيئة رجل وعلى خديه وتحت العينين مباشرة رسمت ثلاثة شلوخ رأسية قصيرة . وهذه الشلوخ شديدة الشبه بشلوخ بعض قبائل النوبة في كردفان كما لاحظت مايمانلها عند بعض المحس والكوارته فى المديرية



الشكل ١٠

الشمالية . ويرجع تاريخ هذا الكفن الى العهد المروى على الأرجح . بينما يعرفه العلماء بعهد البطالمة أو الرومان فى مصر (١) (انظر الشكل ١٠) . (و) وفى جبل توكاب . بوادى التمدد الواقع شمال شرق شندى يوجد نقش على حائط لرجل ينشل دلو ماء . وعلى خده الأيمن تحت خطان مائلان على هيئة حلال . يماثل هذان الشلخان

الخطين اللذين رسما على الشكل الرابع فى بعض مظهرهما ويؤرخ لهذا النقش (الشكل ١١) بالعهد المروى (٢) ويبدو انها شلوخ وليست مجرد زخرف كالخط الذى رسم فوق الحاجب .

(ز) وفى منطقة مروى وفى المبنى رقم ٧٥٠ عثر البروفسير بيتر شينى على قطعة حجرية نقش عليها رأس ملك تزين خده ثلاثة شلوخ مائلة (يبدو الواحد منها كضلعى مثلث منفرجين (الشكل ١٢) (٣) ويرجح المرحوم الدكتور براين هكوك فى حديث له معى ان هذه القطعة حديثة العهد وقد ترجع الى نحو القرن الثالث الميلادى

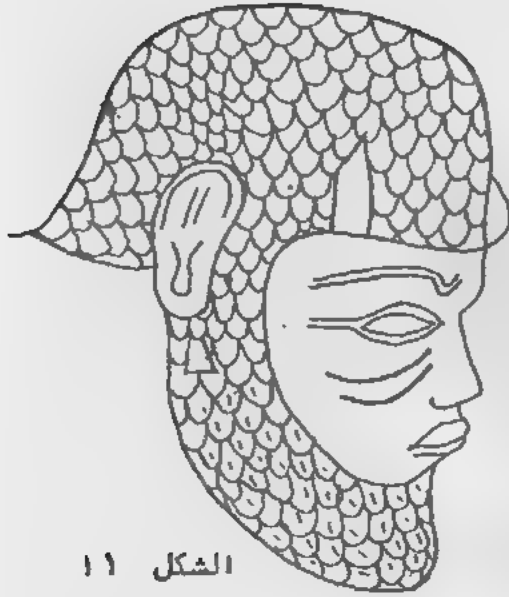
(ح) وقد ذكر البروفسير بيتر شينى فى رسالة للمؤلف بتاريخ ١٩٧٤/٢/٨

(1) P.L.Shinie, Meroe, A Civilization of the Sudan, London, 1971, p 155;

Sadik Nur, "Two Merotic Pottery Coffins from Argian in Hallfa District", KUSH, IV; 1956 pp 86-87

(2) Lepsius, Denkmaler, V, 68F

(3) P.L.Shinie, The Iron Age, London, 1971, plate 4. P. 95.



الشكل ١١

تعرض الشلوخ في ذلك الشكل ربما كان مجرد رخصة فنية لحأ اليها الناحت .



الشكل ١٢

انه قد عثر في نفس المنطقة على ثمانية رؤوس فخارية يرجح انها كانت في الأصل جزءاً من تماثيل بشرية كاملة ، وان كل رأس منها قد علم بشلوخ عمودية . ويضيف البروفسير شيني أن كل المجموعة التي رآها والمبينة في الاشكال ١٠ ، ١١ ، ١٢ والثمانية رؤوس الفخارية كلها تحمل شلوخاً عمودية عدا رأس الملك (الشكل ١٢)

ويفسر البروفسير شيني ان سبب تعرض الشلوخ في ذلك الشكل ربما كان مجرد رخصة فنية لحأ اليها الناحت .

(ط) واخبرني الدكتور براين هكوك انه رأى في المبنى رقم ١٠ بالبيجراوية نقشا لرأس بشري فوق طائر ومعه ملكة وعلى خد كل منهما صفان من الشلوخ الرأسية الثلاثة .

ولدى الدكتور احمد محمد على الحاكم صورة للجزء الأعلى من تمثال (الرأس والرقبة) لاحدأ أعضاء الاسرة المالكة على خده شلوخ .

واخبرني الأستاذ عبد الماجد أبوسبيب أنه رأى في عام ١٩٧٢ في رحلته الى المديرية الشمالية تمثالاً لامرأة في مقبرة بالقرب من الخندق على بعدها ثلاثة شلوخ عمودية .



الشكل ١٣

ونشر المستر لويس كيمر دراسة لتمثال من الطين يرجع الى العهد الروماني في مصر يمثل صورة امرأة سودانية ذات شلوخ ثلاثة (مطارق) (الشكل ١٣) . ومع أن هذا التمثال عثر عليه في منطقة الفيوم إلا أن الكاتب يؤكد انه رغم صنعه في مصر الرومانية فهو يرمز الى سيدة سودانية أو اثيوبية (مستعملا هذين اللفظين في معناهما العام) . وأشار كيمر الى أن بعض الرحالة قد شاهدوا

هذه الشلوخ عند كثير من السودانيين الذين يسكنون في مصر . ويستنتج كيمر من هذا التمثال ، رغم عدم عثوره على دليل أقدم منه . أن عادة الشلوخ قديمة جداً بين السودانيين (١) .

ونستنتج من هذه النماذج الأثرية أن عادة الشلوخ كانت منتشرة بين السودانيين خاصة في المنطقة النيلية الواقعة شمال الخرطوم منذ أمد بعيد . وتدل هذه الأمثلة على أنها كانت منتشرة بين الرجال والنساء على السواء . وربما دل وجودها بكثرة على التماثيل والألواح الحجرية أنها كانت منتشرة

(1) J. Keimer, "Une Petite tête en romaine en terre cuite representant une Soudanaise a cicatrices faciales", *Bulletin Société d' Archeologie d' Alexandrie*, No 40 (1953), pp. 31-4. Plate 2.

بن أعضاء الأسرة المالكة أو الأسر التي يمكنها ثراؤها من أن تخلف تماثيل أو لوحات تدل على هيبتها .

ولكن اكتشافها على وجه ما يمكن أن يكون غريباً . كما هو الحال في صورة الرجل الذي هاجمه الأسد . ربما رجح أنها لم تكن وقفاً على فئة معينة من الوطنيين . أما سبب وضعها سواء بقصد الزينة أو لتمييز مجموعة عن أخرى أو لعامل ديني فهو مالا يمكن البت فيه برأى قاطع لقلة الأدلة .

ومنذ سقوط مملكة مروى في منتصف القرن الرابع الميلادي لانجد من الآثار والرسومات القليلة التي خلفتها اليهود التالية ما يدل على ازدهار عادة الشلوخ سوى إشارة خطية في واحد من كتب الرحالة في القرن الرابع عشر . وفي ذلك الوقت كانت الديانة المسيحية التي بدأت تنتشر في الجزء الشمالي من السودان منذ القرن السادس الميلادي قد ضربت بجذور عميقة حتى عمت بلاد النوبة ومملكة علوة وصارت سمة قومية لسكانها . وقد وردت تلك الإشارة في كتاب للقسيس سيمون سمونيس Symon Semeonis الذي زار البلاد المقدسة في فلسطين بين سنتي ١٣٢٢ و ١٣٢٤ وتحدث فيه عن مصر وبلاد النوبة . وقال عن النوبيين أنهم يتميزون عن اليهود بالخطوط الطويلة التي يضعونها على وجوههم . حتى أصبحت سمة تدل عليهم . وتعمل هذه الشلوخ أو العلامات بمرواد محماة بالنار . ويعتقد النوبيون أنهم بكى وجوههم انما (يعمّدون أنفسهم) يأملون أن تخلص نيران الكي وآلامه أرواحهم من الآثام التي لحقت بهم وتطهرها من الذنوب (١) .

ومن هذا يبدو أن الشلوخ كانت مرتبطة بمفهوم ديني يتفق مع ما وجدناه عند الاحباش والأقباط . وقد كانت لهاتين المجموعتين بعامة والأخيرة بخاصة دور هام في نشر الدين المسيحي في شمال السودان في مبدأ

(1) Symon Semeonis, *Itinerarium Simonis et Hugonis Illuminatoris* pp. 274-5, Quated in J. Vantini, *The Excavation at Faras: A Contribution to the History of Christian Nubia*, Bologna, 1970 pp 132-3.

الأمر وتدعيمه روحياً إيمان السيطرة الإسلامية على مصر وعند بدء انتشار
النموز العربي الإسلامي في السودان . وقد كان بطريق الإسكندرية هو
رئيس الكنيسة القبطية في مصر وراعى أتباعها في الحبشة ومملكتي النوبة
وعلوة (١) .

(1) J.R. Wellsted, *Travels in Arabia*, London, 1838, Vol. I, 389

الشلوخ فى افريقيا الاستوائية

ومع أن الأحباش ظلوا يمارسون الوشم والكى بالنار على الوجه لأسباب دبية بحتة فإن الشلوخ قد عرفت بينهم أيضاً . وقد جاء ذكرها فى المصادر العربية مقرونة بهم وسماها العرب اللعاط أو اللعوط وقالوا إنها خطوط تحطها الحبش فى وجهها . ووصف ابن قتيبة عبد بنى الحساس بأنه كان حبشياً معلطاً أى مشلخاً (١) . ويسمونها أيضاً بالشروط . ومفردها شرط . وتنتشر الشلوخ فى وقتنا هذا بين كثير من سكان اثيوبيا الشمالية خاصة فى منطقة اترتريا . وقد ذكر لى بعض الاثيوبيين أن الشلوخ هى عبارة عن ثلاثة خطوط عمودية رفيعة تحفر بالموسى على الحديد وتكثر بين المسلمين منهم على وجه الخصوص . وشلوخ الارترين هذه . والتي تنتشر بين الرجال والنساء تشبه شلوخ قبيلة الحمران الغريبه والتي تسكن على نهر ستيت فى السودان كما ان بعض الارترين يصنعون فصدين عموديين على الصدغين (الشكل رقم ١٤)



الشكل ١٤

ويذكر احد المؤلفين العرب نقلاً عن مصادر لا يسميها ان عادة اللعوط هذه قديمة بين الحبشان ، وان منشأها يرجع الى حرب نشبت بين الأحباش وملك من ملوك اليمن . ففى تلك الحروب ظفر ملك اليمن بالأحباش و اراد قتلهم ولكنهم طلبوا الصلح محتجين بأنهم من أهل الكتاب وأن بعض منهم على دين موسى والبعض الآخر على

(١) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج ١ / ٣٦٩ انظر ايضا عود الشريف قسم . السودان فى حياة العرب وادبهم - مجلة الدراسات السودانية . المجلد الاول ، العدد الاول ص ٧٨

شريعة عيسى بن مريم . وبعد أن تحقق ملك اليمن من دعواهم هذه فرض عليهم الجزية . ولكن قبل عودته الى بلاده رأى وزراؤه أن توضع لهذه الفئة من الأحباش علامة تمتاز بها عن المشركين وعبدة الأوثان وتكون دليلاً منهم للانقياد والاذعان للمسلمين ، وسمة يميزهم المسلمون بها عن سواهم عند حضورهم لتلك الديار حتى يعاملونهم بالرعاية والاحترام . وبعد أن تفاكر الأحباش فيما بينهم اتفقوا على أن يجعلوا في وجوههم وصماً على رسم خاص . فمهم من اكفى بوسم واحد بين الحاجبين ومنهم من زاد عليه آخرين كل واحد منها بما يلي عيناً من العينين . ولما سئلوا عن تلك الزيادة قالوا انها مقيدة للعينين (١) .

ورغم طرافة هذا التفسير لاصل الشلوخ وانتفاء الغرض الذي عملت من اجله فقد بقيت هذه الشروط في وجوه البعض حتى وقتنا هذا . ويبدو ان بعض المسلمين قد اتخذوا الصليب سمة لهم لاسباب اخرى . فقد روى احد الرحالة الاوربيين أنه رأى علامة الصليب على ذراع رجل ، فلما سأله عن القصد منها ، ذكر له ذلك الحبشى أن والده كان مسلماً واتخذ هذا الصليب حتى يبدو كأنه مسيحي ومن ثم لا يدفع هو وأفراد أسرته جزية للنجاشي ملك الحبشة (٢) . ومهما يكن من أمر فان الشروط كانت متشعبة بين الاحباش ولطالما تغزل فيها الشعراء العرب ومن أمثلة ذلك ما قاله ابوحيان التوحيدي :

وبى حبشية سلبت فؤادى فليس يبروق لى شىء سواها
كأن لعوطها طرق ثلاث تسير بها القلوب الى هواها

وقال سراج الدين المدني :

قدت تستر الحسن البديع وقد بدت

شروط محاسنها على أكمل الشروط

وهمت بستر الشرط فى الحال عزة

فاعطينها روحى جزاء ذلك الشرط

(١) احمد الحفنى القنائى الازهرى ، سواطع الانصراف خلاصة ما عاين من هجرتي الصحابة الى ارض الحبشة وما يطلق بأهلها من الآيات والاحاديث والآثار ، بولاق ١٣١٢ هـ ص (١٨٩٤) ، ٧١ نقلاً عن ابن عبد الباقي فى كتابه الطراز المقروش فى تاريخ الجيوش .

(٢) Vincent le Blanc, *The World Surveyed*, London, 1660, p 196.

وقال الشيخ عبد اللطيف المكي :

على صفحة الحدين قد لاح لي خط

ومضمونه ان المعات به شرط

أموت بلا شرط عليها صباة

وكيف اذا ما لاح في وجهها شرط

وقال الشيخ نور الدين الحجازي :

وذو شرط اذا لف العمامه تعالى الله ما أنهى قوامه
رصيت بشرطه في طول عمرى لأن الشرط آخره السلامة

وتوجد علامات التمييز هذه في أجزاء أخرى من أفريقيا . ففي منطقة زنبار على ساحل أفريقيا الشرقي تميز بعض القبائل أفرادها بخطوط عمودية تحفر على الخدين بمطواة عند ما يكون الطفل في عامه الخامس أو السادس وتصل هذه العلامات سمة تميز بين قبيلة وأخرى (١) .

وفي منطقته اعلى النيل جنوب السودان ما زالت علامات التمييز معروفة عند القبائل النيلية والتي كان موطن بعضها كالثلك ... وحتى القرن الثامن عشر يمتد على شواطئ النيل الأبيض حتى منطقة ملتقى النيلين وربما كانت علامات التمييز عند القبائل النيلية أكثر اتقاداً وتمصيلاً مما نجده عند سكان آخر ، لسماء من السودان كما أنها تحمل مدلولات قبلية واجتماعية وحملية متعددة . ويكفي إن أن تشير لتقريء ان بعض المصادر التي عالجت هذا الموضوع في شيء من التفصيل (٢) . وتشترك علامات التمييز عند القبائل النيلية على وجهه الأهم تحف في تفصيلها . فعد انشكك عبارة عن

(1) J R. Wellsted, *Travels in Arabia*, London, 1838, Vol 1, 389.

(2) C.G. Seligman, *Pagan Tribes of the Nilotic Sudan*, London, 1852,

27 H 223, من شاء التوسع في هذا الموضوع فليرجع الى :

H. Karl W. Kumm, *From Hausaland to Egypt through the Sudan*, London, 1910; S. Johnson, *The History of the Yorubas*, Lagos, 1937, PP. 104-110.

فصدين اثنين أو ثلاث فصدات أفقية طويلة متوازية ، وللتوير ستة خطوط مماثلة أما علامات الدينكا فقطع على شكل حبات بارزة تنتظم أسفل الجبهة .
 إنتشرت علامات التمييز هذه بين كثير من شعوب « بلاد السودان »
 ونيجيريا وغيرها من شعوب غرب أفريقيا وتتمايز علامات التمييز عند هذه
 الشعوب بالتنوع ودقة التفاصيل (١) .

وسأكتفى هنا بالتعرض لبعض الأمثلة من نيجيريا لتطابقها مع الشلوخ
 المعروفة في السودان ، فالخطوط العمودية أو الأفقية الثلاثة المنتشرة بين
 فروع قبيلة اليوربا لها مثيلاتها عند الخعلين أو الشايقية في السودان . بل أن
 الخطوط الأفقية المتوازية الأربعة لها مايطابقها عند بعض الشايقية . انظر
 الاشكال ١٥ ، ١٦ ، ١٧ . (٢)



الشكل ١٦

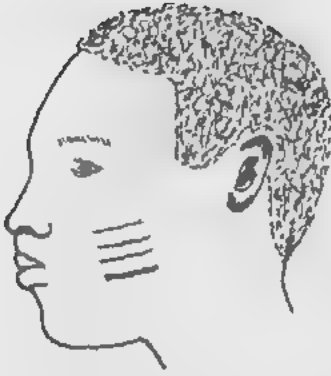


الشكل ١٥

وشلوخ النيجيريين كشلوخ السودانيين تزين وجه الرجال والنساء على حد
 سواء ومع أنها ترمز أساساً للتمييز بين قبيلة وأخرى فإنها عند النساء قد
 تحمل معنى جمالياً . ولعل وجود تشابه بين بعض شلوخ اليوربا وشلوخ

(١) J.C. Foelich, Catalogue des Scarification en Usage chez Certaines Populations du Dahomey et du Nord Togo", *Melanges Ethnologiques* No 23 IFAN, Dakar, 1953, pp. 253-265.

(٢) Johnson. op. cit, 104-107



الشكل ١٧

بعض السودانيين قد تعنى وجود بعض
الروابط الثقافية وتماثل العادات منذ
امد بعيد وليس فيما لدينا من حقائق مما
يؤيد هذا الرأي أو ما يرجح أن عادة
الشلوخ قد انتقلت من السودان وادى
النيل الى نيجيريا أو العكس .

ولعل الراجع . وهو ما يؤكده

هذا الموجز لوضع علامات التمييز
فى بلاد النوبة أو ماجاورها من أقطار أفريقية . أن هذه العادات كانت
منتشرة فى تلك البلاد فى صورة أو أخرى قبل دخول العرب الى السودان
وانتشار ثقافتهم بين الوطنيين . كما أن علامات التمييز لم تعرف بين سكان
الجزيرة العربية إلا مؤخراً .

الشلوخ عند العرب في العصر الحديث

عند استعراض معنى كلمة الشلوخ ومرادفاتها في اللغة العربية رجحت أن العرب لم يعرفوا الشلوخ بمعناها المذكور في السودان ، أى سمة تخير قبيلة عن أخرى . سوء هي عنصر الجاهل أو بعد ظهور الإسلام . وحقيقة الأمر اننى لم أعتبر على مبدئى عن وجود عدة اشلوخ بين العرب إلا فى بعض كتب الرحالة وأشعراء الذين زاروا صحرة العربية فى القرن التاسع عشر .
فقد لاحظت رجولة عن ذلك الذى زار الصحرة العربية بين سنة ١٨٠٣ و ١٨٠٧ . أنه حرت العادة فى تلك البلاد ان يضع الرحال ثلاثة خطوط (شلوخ) عمودية على كل حد . وعند استفساره للمكئين عن هذه العلامات التى تزين وجوههم ، ذكر له بعضهم بأنها مجرد فصوص للتخلص من الدم العاسد بينما أخبره آخرون أنها سمة مميزة لمن وهبوا أنفسهم لخدمة بيت الله (١) والتفسير الأول يشير الى عملية جراحية تآكل (الحجامة) ويبدو لى ان التفسير الثانى يوضح غلبة (الرقيق) « أو » الاعواب وهم الحصيان الذين اعتنقهم أصحابهم أو وهبوا انفسهم لخدمة بيت الله الحرام ، ومعظم هذه الطبقة من خدام الحرم الشريف قد جنسوا أساساً من أواسط بلاد السودان عن طريق ميناء سواكن فجدة الى الحجاز .

ويبدو ان ماورد من تفسيرات هذه العادة لم تقع على بك اد يتحتم حديثه بقوله « ولكن الحقيقة انها الموصلة التى تفرص مثل هذه التضحية أو العملية الجراحية طناً منهم أنها تضمي شيئاً من الجمال ، كالوشم عند النساء . وهكذا الانسان » (٢) .

(1) Ali Bey, *Travels of Ali Bey in Morocco, Tripoli, Cyprus, Egypt Arabia, Syria, and Turkey between the years 1803 and 1807* London, 1816, II, 113-114

(2) *Ibid*, 11, 114.

ويقول الرحالة البريطاني بيرتون في كتابه قصة حج الى مكة والمدينة الذى ظهرت طبعته الاولى عام ١٨٥٥ . فى معرض وصفه لأهل مكة : فى معظم الأسر وعندما يبلغ الذكور من الأطفال أربعين يوماً فإنهم يؤخذون الى الكعبة للتبرك والابتهاال لهم . ثم يحملون الى مآزلهم حيث يعمل الحلاق موساء لقطع ثلاثة جروح متوالية على الجزء اللحمى من كل خد مبتدئاً من الزاوية الخارجية للعين حتى تقارب أركان الفم . وهذه المشالى كما يطلق عليها ربما تكون ذات تاريخ حديث . ويقول المكينون : إن هذه العادة لم تكن معروفة عند أسلافهم . وقد حاولت أن أعيدها لاصول قديمة ولكن لا يمكننى عبر أن أنسب هذه العادة والتي مازالت منتشرة الى أصل وثنى بالرغم من كل تحذيرات العلماء (٢) .

وفى تعليق له عن عادة المشالى يقول بيرتون : (أن هذه العملية تسمى التشريط أو الشخت) ثم يورد ما ذكره على بك عنها من أنها علامة تميز خدام بيت الله الحرام أو من أجل الفصاء Phlebotomy ولكنه ينسب تشريط الذكور هذا ، كما هو الحال فى وشم البنات للتدلل والتفزل . ويضيف بيرتون أن السكان قد أحبروه بأن هذه العادة قد نتجت عن الحاجة الى حماية أطفالهم من المختطفين الفرس . كما أنها بقيت سمة مميزة (لمواطنى) المدينة المقدسة . ولكن الانتشار الواسع لهذه العادة إنما يشير الى أصل مرمع فى القدم فقد منع النبى محمد (ص) أتباعه صراحة من وشم أجسامهم بهذه العلامات أو المشالى . ويختم بيرتون تعليقه بأن علامات التجميل هذه شائعة بين الأمم التى تعيش فى المناطق الواقعة عربى البحر الاحمر . فبرابرة مصر العليا يزبنون وجوههم بشلوخ تشابه شلوخ المكين تماماً . وشاهد بيرتون شلوخاً ماثلة على خدود القالا Galla (٢) .

ويلاحظ المؤرخ كرشتون ان الرحالة قد لاحظوا انتشار عادة الشلوخ

(1) R.F.Burton, *Narrative of Pilgrimage to Meccah and Medinah*, London, 1879, 11,233-4.

(2) Ibid, II, p, 234 F,N.I.

بين الذكور من سكان مكة وجدة من غير البدو . وان هذه المشالي عبارة عن ثلاثة خطوط عمودية طويلة تعمل على الحديد . بينما يوضع خيطان آخران على الصدغ الأيمن وتبقى هذه العلامات واضحة مدى الدهر . ويؤكد كيرشتون مذهب اليه بيرتون من أن المكيين يعتزون بها ويعتبرونها مظهراً جمالياً ودليلاً على مولد المرء في المدينتين المقدستين . وفي النادر ما توصف النساء بمثل هذه المشالي . (١)

ويضيف أحد المؤرخين أن المكيات يعتقدون أن هذه المشالي تقوى أطفالهن من شر العين (٢)

ونلاحظ مما أورده الرحالة الأوروبيون من أن عادة المشالي تنتشر بين المكيين أساساً وبين سكان ميناء جدة . وهما مدينتان يغلب على سكانهما الوافدون من سائر بلاد العالم الاسلامي مثل الهند وجاوه (اندونيسيا) . ولقرب مكة وجدة من الساحل الأفريقي فلا غرابة أن يكثر من يرددون عليهما من القارة الأفريقية .

وتؤكد تحرياتي الخاصة بين كثير من الأخوة من أبناء المملكة العربية السعودية أن هذه العادة ليست منتشرة في الجزيرة العربية بتاتاً ، وما وجد منها فهو آت في الغالب من الحجيج الأفريقي . خاصة الوافد من أواسط بلاد السودان . أو من مخلفات العهود التي كان الرق غالباً عليها . ويميل كثير من غنّرى هؤلاء (٣) أن مارآه الرحالة الأوروبيون لا ينطبق على العرب من سكان الجزيرة العربية . بل يرجحون أن بعض هؤلاء الرحالة رأها منتشرة بين الحجيج

(1) Andrew Chrichton, *History of Arabia and its People*, London, 1885 (New edition) p. 524, see also H.Von Maltzan, *Miene Wallfahrt nach Mekka*, Leipzig, 1855, II, P. 131, Quoted by J.Morgenstern, *Rites of Birth, Marriage, Death and Kindred Occasions among the Semites*, Chicago, 1966, PP. 28-28.

(2) C.Snouck Hurgronje, *Mekka in the Latter Part of the 19 Century*, London 1931, P. 97.

(٣) من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر السيد الدكتور عبد العزيز عبد الله الخويطر والاستاذ حمزة المزني

الأفريقي وغيرهم من الوافدين فضعها عادة مكية وحقيقة الامر ان الرحالة الآخرين الذين جاؤوا اجزاء كبيرة من الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر وامتازوا بقوة الملاحظة ، مثل شارلز داونى وجون لويس بوركهاردت لم يسترع انتباههم مثل هذه العادة بين البدو أو سواهم

ومع هذا كله فلا يستبعد أن يكون بعض العرب من سكان مكة قد أخذوا بهذه العادة بعد أن اختلطوا ببعض الوافدين .

أما فى باقي أجزاء الجزيرة العربية فلم أعر على مايفيد بانتشار عادة الشلوخ كسمة للتمييز بين قبيلة واخرى ففى منطقة الواحدى فى اليمن الجنوبية . يضع العرب ثلاث قشطات (من قشط ، يقشط) صغيرة على كل صدع بقصد علاج وحم الرأس أو التخلص من ضغط الدم على العينين (١) كما يزعم . وقد اخبرنى أحد الاخوة السودانيين أن قبيلة الحاريس التى تعيش فى عمان بالخليج العربى تضع فصدات صغيرة مماثلة لشلوخ قبيلة البنى عامر السودانية ولكنه لايعرف تفسيراً لها . (٢)

من كل هذا نستنتج أن العرب لم يعرفوا عادة الشلوخ بالمفهوم السوداني أى سمة تميز قبيلة عن أخرى . وأن ماروى أو عرف منها بينهم ربما كان لأسباب طبية بحتة . وحتى إذا كان هناك ثمة شلوخ فى غابر الزمان فان عدم ذكرها صراحة فى الشعر الجاهلى أو فى المؤلفات العربية خلال عهود ازدهار الثقافة العربية والحضارة الإسلامية يدل على أنها قد اندثرت تماماً .

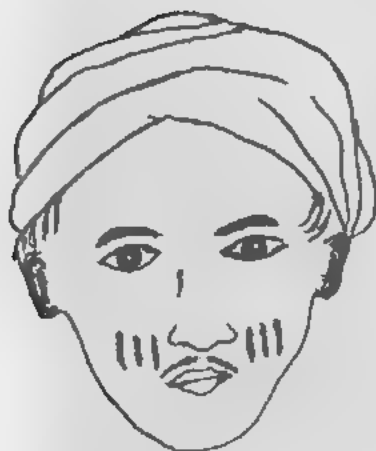
وعليه فليس هناك ما يؤكده وجود أدنى صلة بين ما شاهدته بعض الرحالة الأوروبيين فى الحجاز فى القرن التاسع عشر والاشارات التى ورد ذكرها فى بعض الثقافات السامية الغابرة .

(١) هذا ما رواه لى البروفيسر R.B.Serjeant والدكتور G.R.Smith
(٢) اخبرنى بذلك السيد محمد عثمان عباس الذى قضى بضع سنوات فى منطقة الخليج العربى .



الشلوخ فى السودان بعد الهجرة العربية الاسلامية

تأكد لنا عند حديثنا عن الشلوخ فى السودان القديم ان تلك العادة راسخة فى القدم وانها كانت منتشرة بين الرجال والنساء خاصة فى منطقة حوص وادى النيل الأوسط . وكانت أكثر العلامات انتشاراً هى الخطوط السوداء الثلاثة والتي تعرف الآن (بثلاثة مطارق) (جمع مطرق وهى العصاة الصغيرة) (انظر الشكلين ١٨ و ١٩).



الشكل ١٩



الشكل ١٨

ولكن ما وصلنا من شواهد وادلة لايبين فى جلاء القصد من هذه العلامات
أهى ذات مدلول جمالى . ام قبلى ، أم اجتماعى ؟ ومهما يكن من أمر
مدلولها فان العرب عند بدء هجرتهم الطويلة الى السودان التى استمرت
منذ أواسط القرن السابع الميلادى حتى بلغت ذروتها فى أواسط القرن الرابع
عشر وجدوا ان عملية الشلوخ شائعة بين سكان المنطقة النيلية الواقعة شمال
الخرطوم ، ومنهم انتقلت تدريجياً الى العرب الوافدين بعد أن طوروها
واكسبوها مفهوماً جديداً فيما أرجح .

ويبدو لى أن العرب ، وكان أغليتهم من البدو . لما دخلوا السودان
انتشروا فى مبدأ الأمر فى البوادر طلباً للرعى وتجنباً للمناطق الآهلة بالسكان
على شواطئ النيل . ولكن هجرة العرب هى أعداد كبيرة أدت فى آخر الأمر
الى استقرارهم على شواطئ النيل والى اختلاطهم ومصاهرتهم للوطنيين .
ونتيجة لنظام الوراثة عن طريق الام تبوأ العرب الوظائف القيادية فى
المجتمع الجديد واستطاعوا عن طريق الالتحام نشر الاسلام والثقافة العربية
مما أدى الى تفشى اللغة العربية والى تمثّل الأنساب العربية تمثلاً كاملاً .
وقد بلغ الالتحام والمصاهرة درجة قصوى فى المنطقة الوسطى من حوص
وادى النيل وهى المنطقة الواقعة بين دنقلا العجوز والخرطوم حتى
نسى الوطنيون لغتهم الأصلية ولدرجة يتعذر معها الفصل بين الأجيال
الجديدة من سلالة الوافدين وأبناء الوطنيين ممن كمل استعراهم (١) .
وبكلمات أخرى انتقل المجتمع السودانى القديم الى مجتمع تغلب عليه
الثقافة العربية بمؤسساتها القبلية ذات القيم البدوية ومن أهم هذه القيم المحافظة
على النسب العربى الصريح لكل قبيلة كرمز لوحدة أبوتها وتماسك كيائها ،
وتجسيدا لفخاها وتالدا أيامها .

فقبل هجرة هذه المجموعات العربية الى السودان لم يكن هناك ما يهدد

(١) لتوسع فى هذه النقطة ارجو النظر فى :

Yusuf Fadi Hasan, *The Arabs and the Sudan*, Khartoum, 1973, PP.135-176

هذه لتجيم البدوية ، ولكن عند استئثارها في تلك الديار وتعاظمها مع سكانها وتأثيرها فيها ، وأثرها بهم أحسن هذه المجموعات العربية (والمستعرة منها) ما يهدد كيانها العربي الصريح وجوهر تكوينها القبلي التقليدى .

ومع أن العرب قد انفتحوا على المجتمع الذى آواهم معاشره ومصادره وتسرباً هالهم ، فيما يبدو لى ، أن تلاقحهم مع المجتمع السودانى قد أدى الى نتائج جديد أشبه شكلاً وأقرب لوناً الى الشعوب التى يعيشون بينها ، فحشوا أن يدوب كيانهم وتضيع حصصهم فى حضم المجموعات البشرية التى آوتهم . لهذا كله ربما استفادوا من تلك العادات واتخذوها سمة لهم كى تميزهم عن حوطهم ، وتؤمن لهم المحافظة على كيانهم وقيمهم شكلاً وموضوعاً

ومما شجعهم للمضى قدماً فى تنفيذ هذه المكرة أن بعض أحفاد هؤلاء المهاجرين ، و كانوا ذوى بشرة تميل الى السواد ، يتعرضون للرق من جراء العادات التى يشنها تجار الرقيق وغيرهم أحياناً دون تمييز بين مسلم وسواه . حصة فى العهود التى ضعف فيها الكيان السياسى لممالك النوبة المسيحية ولم يستتب الأمر للممالك الإسلامية ثم ان وجود علامات تمييز تمكن كل قبيلة من التعرف على أفرادها فى ساعات الحرب التى كانت تكثر فى عهود القيمان (١) .

ولاشك أن العرب قد لاحظوا تلك الخطوط التى يضعها النوبيون وغيرهم من سكان وادى النيل على حدودهم ولا بد ان تكون مثل تلك العادات قد انتقلت تدريجياً الى أنماطهم وبنائهم عن طريق أمهاتهم البويات ويبدو أن قوة فعالية الثقافة النوبية لدى السكان الاصليين وشدة تمسكهم بها قد فرصت نفسها على العرب الوافدين فى أكثر من مطهر . ولعل خير مثال

(١) أو ايم شيما ، تنطق على يهود التى كانت تكثر فيها لغارات لىلية بقصد سلب والسلب ، وقد كثر هذا النشاط فى عهد سلطنة الفونج الإسلامية انظر ، يوسف فضل حسن ، دراسات فى تاريخ السودان ، الخرطوم ١٩٧٥ ج ١/ ١٠٢-١٠٤ .

لذلك دو تمثل العرب أو المرأة العربية أو المستعربة لعامية (المنشد) أو طريقة تصميم الشعر التي كانت سائدة في تلك المنطقة منذ عهود سحيقة وقد انتقل هذا التقليد عن طريق المرأة . ومما يؤكد عراقية الشلوح في السودان وادى النيل الأوسط شدة تمسك المرأة بها بل ظلت تقوم بمهمة (السلاخه) أو (الجراحه) كما أن الجلدات كثير مايعين على من لم يلتزم بالمحافظة على هذا التقليد .

ومع أننا لانعرف معزى تلك الفصادات التي يصنعها النوبيون على حدودهم . فيبدو لى أن العرب طوروا تلك الفصادات واتخذوها سمة أو وسماً . وهو رمز اعتادوا وضعه على دوابهم ليفرقوا بينها وبين غيرها من دواب القبائل الأخرى . واطلقوا على هذه العلامات التي تزين الحدود لفظ (شلخ) أو (شلوح) للدلالة على الأصل أو العرق وهو ما قصد هؤلاء العرب اثباته وتأكيدده في مجتمهم الجديد فله مجموعات العربية التي اختلطت بالنوبيين في مبدأ الامر وتلاحمت معهم وأعطتهم اللسان العربي والدين الاسلامي والنسب العربي تمثلت تلك الفصادات السائدة بين النوبيين وتبنتها للدلالة على المجموعات القبلية الجديدة . ونجد أن أهم تلك الفصادات هي الثلاثة خطوط العمودية وهي أقدمها تاريخاً وقد تبنتها المجموعة الجعلية وهي نتاج تمارج بين القبائل العربية والنوبية وتمركز في المنطقة الوسطى من حوض وادى النيل .

فالعلامات الموسومة على الوجوه بمفهومها الجديد أو الشلوح نوبية (أوسودانية) أصلاً وشكلاً وعربية دلالة - اذ هي وسم أو رمز لقبيلة دون أخرى . فلما كثر الاختلاط وتعددت بطون المجموعة الجعلية العباسية والتي تشمل البديرية ، والشايقية والمناصير والرباطاب والميرقاب والجعليين الذين يقطنون بين أتره والخرطوم وغيرهم ظهرت أشكال أخرى للشلوخ غير الثلاثة خطوط العمودية . وبحجة المحافظة على الأصول العربية تبنت

المجموعة الجعلية فكرة الشلوخ وتمسكت بها حتى صارت سمة ودليلاً على عروبة أولئك القوم فيما بينهم أولاً^(١) وعند جيرانهم ثانياً^(٢). واطنتي لأعدو الصواب اذا قلت أن أفراد المجموعة الجعلية العباسية وهم أكثر القبائل السودانية عروبة، أو استعرباً ، وتمسكاً بالنسب العباسي . وغيرهم من المجموعات المستعربة كانوا من أكثر سكان سودان وادي النيل تمسكاً بهذه الشلوخ دون سواهم من النوبيين والبجة والبدو من الأعراب الذين يقطنون البوادي بل لا تكاد أن تجد لها أثراً بين البدو من الأعراب^(٣) .

ومن الطريف أن كثيراً من شيوخ السودانيين الذين يعيشون في المنطقة الوسطى من حوض النيل يذكرون كيف كان ينظر عامة الناس من سكان تلك المنطقة الى الشخص غير المشلخ (أو الامرء) نظرة فيها شيء من الاستخفاف لانه أهمل عادة الآباء وسمة القبيلة. ويعتقدون أن إهمال الشلوخ وتركها ليس من أخلاق الاحرار (أى العرب) بل العبيد أى السود و (الحلب) أى العجم . ومن أهملها كان في عداد هاتين المجموعتين وقد أخبرتني والدتي أن اكبر اخواتها قد أصر على أن يفصد بشلخ القبيلة وهو فتى قاربت منه العشرون عاماً ، حتى لا يوصم بترك عادة الاجداد . وهو نفس السبب الذي دفع جدة لي رغم معارضة والدتي أن يوسم وجهي ببعض الشلوخ ، وأنا طفل دون الثالثة ، وذلك عندما قرر أبوي السفر للعمل بوظيفة حكومية بعيداً عن مسقط رأسه في إحدى قرى المحمية .

يتضح من هذا العرض أن الشلوخ رغم قدمها في المنطقة التي شهدت ازدهار حضارتها ونبتة ومروى قد اقتبسها المهاجرون العرب عند اختلاطهم

(١) ومع ان علاقة الشلوخ بأقلام الجعليين قد تدل عل عكس ما ذهبنا اليه من عروبة الجعليين الا انه يتضح من غلبة الثقافة العربية على تلك المنطقة ان الشلوخ قد اكتسبت مضمونها عربياً وصارت سمة تميز بين مجموعة وأخرى .

(٢) وبمرور الزمن انتقلت الشلوخ من المجموعات النوبية ومن القبائل العربية والمستعربة الى مواليتهم وسرايرهم كسمة تميز انتمائهم ، بل تجلدا اليوم بين الزناني في الجنوب وبين النوبة في كردفان .

بالنوبيين وأكسبوها مفهوماً قُبلياً يميز مجموعة عن أخرى . كما صارت ذات دلالة على عروبة المرء . ومع أن المجموعات العربية الأولى قد وجدت في هذه الشلوخ ما يطمئنها على نسبها العربي ويميز كيانها القبلي . لكن بمرور الزمن اكتسبت هذه الشلوخ مفاهيم جديدة . فصارت النساء يصنعها بقصد الزينة والجمال . كما أصبحت ذات دلالات دينية عند الرجال . وفي الصفحات التالية أشكال الشلوخ المرتبطة بكل مفهوم من المفاهيم الثلاثة : القبلية والدينية والجمالية .

نماذج من الشلوخ ذات المغزى القبلي

ذكرت فيما تقدم أن سكان المنطقة الوسطى من حوض وادي النيل الأوسط قد احتفظوا ببعض أشكال الشلوخ التي كانت سائدة في تلك المنطقة منذ عهود سحيقة خاصة الثلاثة خطوط العمودية (١) (و ربما الخطوط الأفقية) (٢) . وهي أكثر انتشاراً بين سائر المواطنين في ذلك الاقليم . نجد أن هذه الشلوخ منتشرة في وقتنا هذا عند المحس الذين يقطون منطقة كرمة . وشلوخهم طويلة ورفيعة . (انظر الشكل رقم ٢٠) وعد الدناقلة والبديرية ، وهي طويلة عميقة وعريضة تملأ سائر الخد وتشتهر باسم الشلوخ الدنقلاوية (انظر الشكل ٢١) .



الشكل ٢١



الشكل ٢٠

- (١) انظر الاشكال رقم ١٦-١٧-١٨ صفحة ٣١ .
(٢) انظر الشكل رقم ٣ صفحة ١٢ الذي ربما كان بداية للشلح الاقوى .

ونلاحظ أن كلا من المحس والنداقلة (على قلة الشوح عند الأوائل)
مجموعتان نوبيتان مارا التا تتحدثان بلهجات بوية . رغم اختلاطهما ببعض
الدماء العربي^(١) . ولكن البديرية . رغم تأثرهما ثقافياً هيئة الشلوخ الدبقلاوية
مهم فروع من المجموعة الجعلية . ونجد الشلوخ الثلاثة عند الرباطب
والمير وب الجعلين أيضاً . وشلوخ الأواخر رغم تعدد صورها قصيرة
(أنظر الأشكال رقم ١٨ . ١٩) وبعضها شديد الشبه بالعلامات الموسومة على
التمثال الموضح (بالشكل ١٣) .

وحقيقة الامر أنه مع التزام القبيلة بشلوخ واحد على صورة معينة فإن الشكل
النهائي لذلك الشلوخ يختلف في بعض تفاصيله من بطن لآخر وحتى بين أفراد
الأسرة الواحدة . ويرجع ذلك الى الطريقة التي يختارها (الشلاخ) أو الجراح
في عملية الفصادة ، وتتأثر هذه بشكل الوجه . وعادة مايجرى عملية
الشلوخ للدكور في سن مبكرة لاتتجاوز الخامسة على الأرجح وتؤخر عند
الإناث ربما حتى يبلغن العشر سنوات حين تتضح معالم الوجه ويكتسز لحما
حيث يسهل على الجراح اختيار الصورة المناسبة للشلوخ . وليس هناك اخصائي
معلوم بمعد ناحراء عمليات الفصادة . اذ الغالب ان يقوم بها الحجام أو
المزبن أو البصير (الطبيب البلدى) أو القابلة وأمثالهم . وهناك من اشتهروا
ناحراء هذه العملية لحسن أدائهم لها . مثل بنت المزين التي كانت تعيش
في الدامر في أواسط هذا القرن وكانت قبله لكثير من الراغبات في الشلوخ
من سائر المناطق المجاورة .

خلص من هذا كله الى أن المجموعات الجعلية العباسية . عدا الشايقية
قد اقيست الشلوخ العمودية الثلاثة من تقليد قديم كان سائدا في تلك المناطق
وان هذه الشلوخ قد صارت مع اختلاف في التفاصيل سمة تميز بين قبيلة
وأخرى . ولم اعثر على مايفسر أسباب اختيار الجعلين لهذا (الشلوخ) دون
سواه من علامات التمييز . ويقول بعض الجعلين ان الثلاثة خطوط العمودية
أي ||| - مائة واحداً عشر تعنى كلمة كالى . احداً أسماء الله الحسنى ،

(١) من ادتو تر ان بعض سكان منطقة ليديريه ظلوا يتحدثون دلقلاوية حتى بداية القرن
الماضى .

إذا اسقطت حساب الجمل . وعلى ضوء ما توصلنا إليه من قدم هذه الشلوخ الثلاثة خطوط العمودية في تلك المنطقة فإن هذا التفسير غير منطقي . ومع أن كلمتي (مثلخ جعل) يشير أن أساساً إلى الثلاثة خطوط العمودية . فإن الجعليين قد عرفوا علامات تمييز أخرى . ومن أشهر هذه



الشكل ٢٢

العلامات (السلم) ذو الدرجة الواحدة وهو كالحرف انش H بالحروف اللاتينية (انظر الشكل ٢٢) ويسمى البعض هذا الشلخ بسلم الشيخ الطيب البشير الجموعى (١٧٨٤ - ١٨٢٤) منشى الطريقة السمانية في السودان . ولكن وجود كثير من الجعليين ممن يحملون هذا الشلخ من غير اتباع تلك الطريقة يجعلنا نشكك في التسمية الأخيرة . وهذه نقطة أمل أن اعود لها عند حديثي عن المظهر الديني للشلوخ . وقبل أيام شاهدت سلماً مقلوباً على إحدى إحدى الشيوخ من الفرعيس ، وهم فرع من الجعليين ، فسألته عن دلالاته فاجابني بأنه لا يعرف شيئاً عن ذلك . كما أنه لم ير له مثيلاً عند أهله ولعل السبب في قلب السلم هو « السبر » وهو موضوع سأعرض له فيما يلي .

ومن شلوح الجعلين أيضاً الواسوق وهو كالحرف T ويسميه البعض (درب الطير) أو عكاز ود حسونة (انظر الشكل ٢٣) ويعرف عند اتباع الشيخ ابيعيد ود بدر بعد أن اكتسب مفهوماً طائفيًا (بمدقاق ود بدر) وربما رسم هذا الشلخ احياناً في هيئة تماثل الصليب + (انظر الشكل ٢٤). والشلخ بصورته هذه جعل بعض الدارسين يتسألون عما اذا كانت هناك صلة بين هذا الشلخ والصليب. فاذا تذكرنا ان الديانة المسيحية كانت سائدة في المنطقة الوسطى من حوض وادي النيل الاوسط ربما وحدنا قرية تربط بين الشلخ + والصليب. ولعل مايقوى من دلالة هذه القرينة ان كثيراً من السودانيين الذين يعيشون في القرى في تلك المنطقة ظلوا حتى عهد قريب يسمون صليبا من الكحل على جبهة الطفل عند مولده (١). وبما ان هذه



الشكل ٢٣

(١) ولعل ما يرحح هذه القرينة ان كثيراً من الاسر ظلت حتى عهد قريب تحمل الطفل المولود حديث الى النهر حيث تجرى له بعض المراسم التي تشبه اعراس «التميد».



الشكل ٢٤

وشاركت قبيلة القادنية الجعليون السكن واختلطت بهم اختلاطاً وثيقاً حتى صدرت جرءاً من النمط الثقافي السائد في تلك المنطقة ومن ثم تمثل بعض أفرادها شلوخ الجعليين .

ومرور الزمن ، ونتيجة هجرة الجعليين الى أقاليم السودان المختلفة وازدياد نموذهم الثقافي والاقتصادي انتشرت شلوخ الجعليين في تلك المناطق . وحقيقة الأمر أننا نشاهد اليوم بعض شلوخ الجعليين مثل السلم عند الدناقلة في أقصى الشمال ، بينما يروى مالك ماينكل أن هذا السلم سمة لرقيق السلطان على دينار في أقصى الغرب (١) .

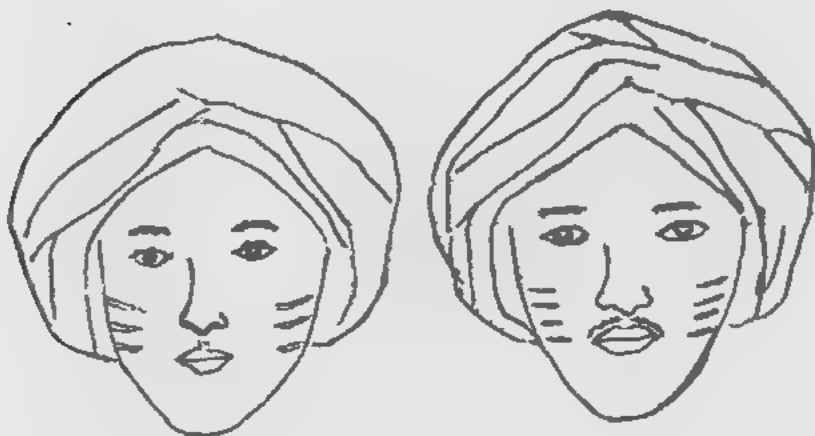
كل هذه النماذج التي ذكرتها من شلوخ الجعليين تكاد تكون وفقاً

H.A.MacMichael, *A History of the Arabs in the Sudan*, London, 1922, (١)
Vol. I, P.214.

وهذا دم برين ، برث اشمنى بعينة المسيحية (شرق مدينة اعاشر) شمه أحدث السودان ،
جامعة الخرطوم ١٩٧٠ ص ٤٧ ، أن من يتشبهون بن المسيحية هم عبيد أبناء السلطان على
دينار ،

على الرجال عدا الشلوخ الثلاثة التي تشاركهم النساء فيها . وللنساء مجموعة يعرفن بها ساعترض لها عند الحديث عن المظهر الجمالى للشلوخ .

وينفرد الشايقية ، وهم من أهم قبائل المجموعة الجعلية ، بشلخ خاص به . وهو عباره عن ثلاثة خطوط أفقية متوازية يمتد أوسطها من عند الفم حتى أقصى الخد . وهاك قلة من الشايقية تضع أربعة خطوط أفقية متوازية . والسبب في ذلك كما روت لى سيدة فضلى أن شكل الوجه ودرجة اكتنازه تالجم تحدد عدد الفصادات التي يستطيع الشلاخ أن يضعها . (انظر الاشكال ٢٥ و ٢٦)



الشكل ٢٦

الشكل ٢٥

فمعظم الناس تناسبهم ثلاث فصادات الا أن قلة منهم خاصة ذوى الوجه المستدير يصلح فيها الأربع ، اذ تكون أجمل مصراً . وتنتشر هذه الخطوط الأفقية المتوازية عند الرجال والنساء على حد سواء . وكانت (شلوخ الشايقية) وهذا اسمها سائدة في سائر بلاد الشايقية حتى عهد قريب . عندما أخذ الشايقية بصور أخرى للشيوخ من حيرانهم . وانشايقية من أكثر القبائل اهتماماً بهذه الشارات التي تميزهم عن سواهم . وهم حريصون عليها لعدة عوامل . أولاً كانوا أقوى قبيلة في منطقة استرايحية تحتل الجزء الشمالى من مملكة الفونج الاسلامية . وكانت تحيط بالشايقية وتحتل بهم مجموعات

وادی النيل الاوسط . ام ان ذلك التقليد قد ابدثر تمام . حتى جاء الشايقية واقتبسوه من جيرانهم . وتنتشر هذه الشلوخ بين الشايقية في الجزء الشمالي من ديارهم في العفاص . والذب . والغابه وهي مناطق ينتشر فيها البديرية وتتأخم لبلاد الدناقلة . وربما انتقلت اليهم نتيجة احوار والاختلاط . وتكثر ايضا في الجزء الاوسط من ديار الشايقية حول مروي وبوري وكريمة والبركل وهذه المنطقة رغم بعدها من ديار البديرية والدناقلة فاما تمثل مركز النقل الإداري والتجاري وربما الطائفي فقد نزلت اليها مجموعات من غير الشايقية لسهولة المواصلات اليها ووفرة سل كسب العيش . ويعيش في هذه المنطقة اسرتان دينيتان هامتان أولاهما أسرة احمدتويات وتعيش في نوري ويروي انهم بكرية من ذرية أنى بكر الصديق (١) . وبدوا انهم قد اقتبسوا هذه الشلوخ الثلاثة العمودية قبل استقرارهم في هذه المنطقة والاسرة الثانية هم الكوارير (آل كاروري) ، وهم بديرية . واللاثة خطوط العمودية هي شلوخ اهلهم التقليدية . وعند انتقال هاتين الاسرتين الى المنطقة الوسطى واختلاطهم بالشايقية ومصاهرتهم لهم . انتقلت شلوخهم الى الشايقية ربما بقصد التبرك . ويرى البعض أن الشايقية قد فضلوا هذه الشلوخ الثلاثة العمودية لاسباب جمالية بحتة . إذ تعتبر ثلاثة شوح (المطارف) اجمل شكلا رغم أنها خارجة عن التقليد القبلي . وخس مطرها نجدها أكثر إنتشارا عند الساء دون الرحال وقد تغني بها كثير من الشعراء وروجوا لها في الغناء الشعبي فاردهرت بين السكاك (٢) (انظر الشكل رقم ١٨ و ١٩) .

وللعبدلاب . سلالة الزعيم العربي عبد الله حماع القاسمي الذي وحد

(١) محمد اسود بن ضيف الله : كتاب الطقات ، ص ٢٥٦/٢ وقد ذكر في بعض الناس انهم رأوا أربعة مصادر يتوسطها عارض وربما كان مثل هذا الخنق ددر الحدث لاسي لم أرميلا له .

(٢) ولعل لما شمع على انتشار هذه الشلوخ العمودية بين الشايقية هو ان اعيتهم من اتباع الطريقة الختمية وكانوا يدبون بالنوال . رعيها سيد علي انيرغى ، الذي تربى هذه ثلاثة شلوخ عمودية ، فقتس الشايقية هذه الشلوخ تبرك بزعيمهم الروحي ، كما كان احوال عبد اتناع شيخ حس ود حسونة وغيره .

القبائل العربية وقضى على مملكة علوة المسيحية في اواسط القرن الخامس عشر وانشأ أول مملكة عربية في حوض وادي النيل الاوسط . شنوخهم الخاصة بهم . ومنذ أول القرن السادس عشر ظل العبدلاب يسيطرون على الجزء الشمالى من سلطنة القونج الاسلامية فى تحالف مع ملوكها فى سنار وعلى هذا الجزء الشمالى . والذي شهد مولد أولى التجمعات القبيلة العربية الكبرى مثل الجعليين والشايقية بسط العبدلاب نفوذهم السياسى . ومن ثم كان لابد لهم من سمة تميزهم عن تلك القبائل . فانخذ العبدلاب لهم (شلخاً) خاصاً بهم هو عبارة عن ثلاثة خطوط عمودية متوازية (شلوخ الجعليين) يتصفها خط أفقى HH وتعرف عندهم بالثلاثة مطارق وعارض (١) (انظر الشكل رقم ٢٧) ولاندرى متى اتخذ العبدلاب هذه الشارة سمة لهم



الشكل ٢٧

ولكن الملاحظ أن الرحالة الاوربيين الذين زاروا بلاد العبدلاب فى قرى

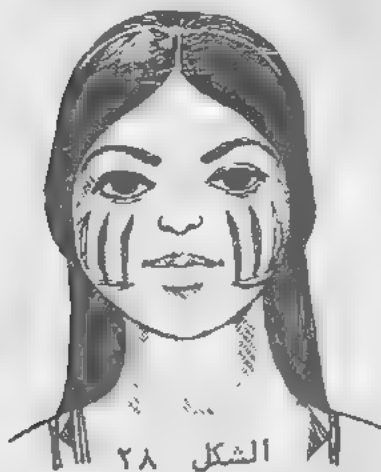
(١) وقد ذكر لى بعض الناس انهم رأوا اربعة مطارق يتوسطها عارض H و ربما كان هذا الشلخ نادر الحدوث لاننى لم أرميلا له .

وحامية الملوك لم يشيروا الى هذا التقليد . ومهما يكن من تاريخ هذه الشارة فلا شك أن العبدلاب قد أخذوا هذا التقليد كعبرهم من المجموعات العربية التي استقرت على شواطئ النيل واختلطت بالسكان الوطنيين . وهم أكثر منهم عدداً . كما أن الشلوح كانت أمراً ضرورياً يميز العبدلاب عن سواهم وهم يشون الغارات وبرحلو الخيوس في سائر أنحاء البلاد .

ولساء العبدلاب شلح خاص بهن . وهو عبارة عن ثلاثة خطوط عمودية تسند على حط أفقي ويسمى العارض . ومن نساء العبدلاب انتقل العارض الى المناطق الأخرى حيث فضله كثير من النساء على سواء لجمال منظره (انظر الشكل رقم ٢٨) وقد جاء على لسان أحد الشعراء الشاقية غزل بالملكر قال فيه :

موزون شلخه عدلابي

يالسعداني الزول الجماله خلقي



ويبدو لي أنه بانتهاء نفوذ العبدلاب السياسي في سنة ١٨٢١ وازدياد نسبة الوعي في منطقة ملتقى النيلين فقدت شلوح العبدلاب علة بقائها . كما أن إنتشار الطرق الصوفية في تلك المنطقة وازدياد هيمنتها على كثير من السودانيين دون اعتبار لانتماءاتهم القبلية خفف من علواء التعصب القبلي فأدى هذا التغيير الى إهمال الشلوح ذات المدلول القبلي

وفي المنطقة الوسطى من حوض وادي النيل ، كما ذكرت ازدهرت الشلوح ذات المدلول القبلي . ومنها فيما أرجح انتقلت نفس الشلوح الى بعض أقاليم السودان الأخرى . عندما هاجر ممثلوا القبائل التي كانت تعيش في تلك المنطقة . فقد هاجرت تلك القبائل سعياً وراء التجارة أو بحثاً عن حياة

أرعد أو هروباً من القهر والمجاعات أو بعية نشر تعاليم العقيدة الإسلامية في إقليم كردفان ودارفور والجسرية وذلك بين القرن السابع عشر والتاسع عشر فحملت تماذج من الشلوخ معها ومنها انتقلت الى بعض المجموعات على سبيل التقليد أو نتيجة الاختلاط .

ولاشك أن الشلوخ قد عرفت بين مجموعات عربية أخرى من غير التي تعيش في حوض وادي النيل الأوسط كالكبايش والشكريه والضباينة والحرمان وكلها من قبائل البادية (١). ويعلب على القبائل الثلاث الأخيرة استعمال الشلوخ العمودية الثلاثة وتنتشر نفس الشلوخ العمودية مع اختلاف في طولها وعمقها



بين قبائل البجة : وتكثر بين الأرتيقة والكميلاب وبعض فروع قبيلة الهدندوة كالشرعاب والقرعيب والبشارياب (٢) (انظر الشكل رقم ٢٩) وتشاهد على خلود البني عامر والحباب (٣) وشلوخهم أشبه بشلوخ الحرمان .

الشكل ٢٩

ويبدو لي أن انتشار

الشلوخ وتمثلها في مناطق أخرى أقل استعراباً من ديار الجعليين خاصة

- (١) نوم شقير ، جغرافة وتاريخ السودان ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٢٤٥
- (٢) بعض البشارياب يحملونها أفقية ، كشليخ الشايقية ، وربما كان هذا نتيجة « السر » كما قال الأستاذ محمد ادروب اوهاج .
- (٣) محمد ادروب اوهاج ، من تراث البجا الشامي ، شعبة بحاث السودان ، حامة الخرطوم ، ١٩٧١ ، ص ٩٨ .

أوسكان المنطقة الوسطى من حوص وادى النيل الأوسط عامة ربما يعكس
ظاهرة تماثل تنى النسب العاسى وتمثلهيين مجموعات كبيرة من سائر
السودانيين اذ أن الشلوخ قد صارت عند البعض فى صورتها القبلية سمة
لعروبة المرء .

الوظيفة الدينية للشلوخ

عند دخول العرب السودان وتلاحمهم مع الوطنيين تمثل هؤلاء الثقافة العربية تمثلاً كاملاً ، وقد أوضحنا أنّ الشلوخ ربما كانت - كعلامات للتمييز القبلي - أحد مظاهر هذا التلاحم الحديد بين العرب والنوبيين وغيرهم من الوطنيين . وفي خلال هذه الفترة أيضاً حلت العقيدة الإسلامية مكان المعتقدات المسيحية والوثنية التي كانت منتشرة في تلك الديار . وبانعدام حكومة مركزية قوية ، إذ أن سلطنة الفونج الإسلامية (١٥٠٤ - ١٨٢٠) كانت في كثير من مظاهرها السياسية جماع لتحالف مجموعات عربية ، صار لسكان وادي النيل ولواءان رئيسيان أولهما للدين الإسلامي وثانيهما للتكوين القبلي وقيمه . وفي إطار الولاء للعقيدة الإسلامية كانت الغلبة لتعاليم الطرق الصوفية ، فقد وجد عامة الناس في الأولياء والصالحين ملاذاً روحياً وعوناً مادياً ضد قسوة الحياة وظلم الولاة . وحقيقة الأمر أنّ مشايخ الطرق الصوفية وجدوا من الإحترام والتأييد من المواطنين ، رجالاً ونساء . ما يمكنهم من بسط نفوذهم خارج الأطر التقليدية للقبائل التي ينتمون إليها أو يعيشون بين أكنافها وبتعبير آخر اخترق الولاء الصوفي الولاءات القبلية المتفشية في البلد وأصبح سلطان الشيخ الصوفي يمتد إلى آفاق جديدة خارج التقسيمات القبلية التقليدية . وقد أدى ذلك إلى بروز تجمعات طائفية أساسها الولاء للشيخ (شيخ الطريقة) ومن ثم كان الولاء للطريقة (في إطار العقيدة الإسلامية) أرحب من الولاء القبلي الضيق .

وقد عبرت الشلوخ ذات الجذور الثقافية العميقة في مجتمع السودان وادي النيل الأوسط عن هذا التعبير في مضمون الولاء ، فالتحذت لها معنأً جديداً يختلف عن المضمون القبلي التقليدي الذي يربط بين أفراد القبيلة الواحدة إذ صارت شلوخ الشيخ (أو أسرته) رمزاً للمضمون الجديد الذي

يربط بين أتباع الطريقة الواحدة. وقد ارتبط هذا التحول في بادئ الأمر ببعض أتباع الطريقة القادرية الجيلانية ثم باتباع الطريقة السمانية ثانياً . وستابع بعض مظاهر هذا التحول في تسلسل تاريخي .

تعتبر الطريقة القادرية من أول الطرق الصوفية دخولاً الى السودان وأكثرها انتشاراً بين المواطنين . وقد انتشرت على ايدي جماعة من المشايخ اشهرهم وأكبرهم تأثيراً تاج الدين البهاري الذي وفد الى السودان في نحو سنة ١٥٧٧ م . وسلك تاج الدين عدداً من المريدين أشهرهم خليفته محمد الهميم ، وبان النقا الضربير والشيخ عبد الله بن دفع الله العركي . ومن نشروا تعاليم الشيخ عبدالقادر الجيلاني منشئ الطريقة القادرية في العراق ، الشيخ ادريس ود الأرياب والشيخ حسن ود حسونة . وحول أمر هؤلاء المشايخ وأبنائهم إنتشرت الطريقة القادرية في أماكن مختلفة من البلاد كالمنيرة وأبي حراز وسنار والعلفون والبطانة وغيرها . وقد أدى ازدهار هذه المراكز المتعددة للطريقة القادرية أن ظل كل شيخ من رؤساء هذه المراكز الدينية مستقلاً عن رصفائه إلا ما يربط بينهم من وشائج التراضي والمحبة التي تربط بين أتباع الطريقة الواحدة .

وربما كان أول من اقترن اسمه بفكرة الشلوخ ذات المضمون الديني هو الشيخ ادريس ود الارباب الذي أدخل الطريقة القادرية ونشرها في منطقة العلفون على النيل الأزرق . ولد الشيخ ادريس ود الارباب سنة (٩١٣ - ١٠٦٠ هـ - ١٥٠٧ - ١٦٥٠ م) بقرية العلفون الواقعة جنوب الخرطوم بحرى أو بالحليلة شوحتت بالقرب من شمبات شمالى الخرطوم بحرى وهذه المنطقة مأهولة بالمحس الذين هاجروا اليها قبل قيام سلطنة الفونج من ديار المحس الواقعة بين الشلالين الثاني والثالث . وقد اختلط المحس في موطنهم الأول بمجموعات عربية كثيرة منها الخزرج إحدى قبائل الانصار ولما استقروا في منطقة النيلين عند توتى وشمبات والصابي والعلفون وما جاورها نسوا تدريجياً لسانهم النوبى وصارت العربية لغة لهم . وإلى هذه

المجموعة المويبة المستعربة بنمى الشيخ ادريس ود الارباب .
 وفي العيصون وهي محطة هامة على « درب الجمل » أو الطريق التجاري
 اشتهر الشيخ ادريس بالعلم والتقوى فأوقد نار القرآن واثلم وأرشد المرشدين
 في سلك القادرية ، وبني الخلاوى والى حوله طلاب العلم ومحبو الطريقة .
 ولاستعد في مثل هذا المنهج أن يكون بعض أهل الشيخ ادريس من
 المحسن قد حافظوا على عادة الشلوخ : ذات الثلاثة خطوط العمودية أو ثلاثة
 مطارق III والتي كانت سائدة في موطنهم الأصلي في بلاد النوبة . وقبل
 ان الشيخ ادريس كان مشلخاً ثلاثة مطارق ، ويروى أن هذه الشلوخ قد
 عرفت في منطقة العيلفون باسم (مطارق الشيخ ادريس) وقد أكد لى
 شيخ من تلك المنطقة أن هذه الشلوخ مارالت تعرف في منطقتهم باسم
 الشيخ ادريس ، كما أن وسم بهائم أسرة الشيخ ود الارباب عبارة عن
 ثلاثة مطارق متوالية مائلة III . ومع عدم وجود مايرجح هذه الرواية
 لطول العهد ، فلايستعد ان يكون الشيخ ادريس مدشحا كعادة أهله في ذلك
 الوقت ، ونسبة للمكانة الرفيعة التي كان يتمتع بها بين مريديه من اتباع
 الطريقة القادرية وتلاميذه . فلا عرو أن تكتسب شلوخ الشيخ ادريس شيئاً
 من التقدير والاحترام بين اتباعه مما حدا ببعضهم لاتخاذها سمة لهم تميزهم
 عن أتباع الطرق الأخرى . ولكن سمة لانتشار الثلاثة مطارق العمودية سمة
 قلبية بين مجموعات كبيرة من سكان حوض وادى النيل الاوسط فسان
 اتخاذها كشارة دبية بين فئة من مريدى الطريقة القادرية لآخلق منها التمييز
 الدينى الدقيق الذى حققه أتباع الطرق الأخرى كما هو مبين في الأمثلة
 الآتية وحقيقة الأمر ان قلة معرفتنا بما حدث في ذلك الزمان الباكر تجعلنا
 نحجم عن ابداء رأى قاطع في هذا المثال .

ولعل من أول من تمثل « الشلوخ » في مضمونها الدينى هم أتباع
 الشيخ حس ود (اى ولد) حسونة بن الحاج موسى . وكان جد الشيخ
 لأبيه قد قدم من المغرب وتزوج امرأة من المسلمية ، وهي قبيلة صغيرة يرجع

نسبها الى أبى بكر الصديق . وتزوج ابنته حسونة من امرأة من الصوارده
اجب منها اربعة طفل - ثلاثة ابناء و بنت - لم يتركوا عقباً من بعدهم .
وولد الشيخ حسن (فى نحو سنة ٩٦٨ هـ - ١٥٦٠) (١) وتوفى سنة ١٠٧٥ هـ
١٦٦٤) (٢). فى جزيرة كجوج الواقعة جنوب سدى وسكانها من
الحليين والصوارده . وكان خاله الشيخ لقابى عالماً جليلاً درس الفقه على
الشيخ عبد الرحمن بن جابر . وبعد أن سئل الشيخ حسن قدراً من الثقافة
الدنية المتوفرة فى تلك المنطقة اخذ يتحول فى بعض أقاليم السودان بحثاً عن
شيخ يأخذ عليه طريقة صوفية . ويقول محمد النور بن ضيف الله انه سلك
فى آخر الامر الطريقة القدرية بمدد من الرسول صلى الله عليه وسلم .
وبعد دحوه « الحلوات » وانقطاعه للعبادة على عادة رجال الصوفية حج الى
بيت الله الحرام وزار الحجار والشام . ثم خرج من موطنه التقليدى جنوب
سدى الى بادية البطانة حيث استقر بين عرب البطاحين . وهى قبيلة قرشية
يربطها النسبة السودانيون بالمجموعة الحلبية . وهما حصر الحفائر واهم
تربية الماشية حتى كثر ثراؤه منها . وكان يمتلك من الرقيق والخدم أعداداً
كبيرة جداً واشتهر بالكرم والصلاح . فسار بذكره الركبان . وتدفق
عليه أرباب الخوانج والمرضى وذوو العاهات والراغبون فى بركته . واستقر
بعضهم مجاوراً له . بالقرب من قريته التى اشتهرت باسم « ودحسونة » (٣).
وزين وجوه أتباع الشيخ حسن ودحسونة واحمد أخيه لأبيه عبد
اعتاج شامخاً خاصاً على هيئة ١٧١ ويعرف بشاخ الشيخ حسن ويسميه
العص « الشور » (انظر الشكل رقم ٣٠). ولا يدري متى تميز اتباعه بهد
السلخ: أكان ذلك فى حياة الشيخ أم بعد مماته. وقد روى بعض أتباع الشيخ
حسن أنهم وحدوا هذه العلامة مرسومة على قمة الشيخ حسن ولا يدرون لما

(١) اصدىق حصرة ، دة الصكر اصدىق حصرة . مخطوط مدار الوثائق المركزية
المخطوط ، ص ٤٩٣ .

(٢) محمد للنور بن ضيف الله ، انطبقات ، ص ١٤٨

(٣) المصدر السابق ص ١٤٠-١٤٣ .

اصلاً (٢). ويذكر آخرون أن معنى ذلك الشلخ «حسن» بحساب الجمل، ولكن إذا حسبنا مجمل أرقام «حسن» بحساب الجمل $٨ + ٥٠ + ٦٠ = ١١٨$ وجدناها تساوى ١١٨ وليس ١٧١. ويرى الأتباع أن الأصل كان ١١٨ ثم قلب الى ١٧١ لأسباب لا يدرونها ومهما كانت أصل هذه القصدات الثلاث فيبدو لي

أنها كانت وسم ماشية الشيخ حسن ودحسونة ، ثم اتخذها أفراد امرته الحسوناب تمييزاً لهم عن القبائل الأخرى وتبركاً وتيمناً بالشيخ حسن ودحسونة ، ومنهم انتقلت الى عامة أتباعه من أبناء القبائل الأخرى . ولما كان الشيخ حسن ودحسونة مشهوراً بورعه وصلاحه وكراماته وما يغدقه من عطف وكرم ورعاية لأتباعه وتحميلاً للطريقة في نظر أتباعه صار وسم الشيخ أولاً وشلخه ثانياً تعبيراً وتمييزاً لأخوة دينية في إطار طائفة القادرية .



الشكل ٣٠

وقد يرسم شلخ الشيخ حسن بصورة أخرى منها أن القصد الوسطى تبدو وكأنها حرف ٧٠ وأحياناً تترك القصد الوسطى مفردة دون الحطين العمودين وقد رأيت وجه أحد أتباع الشيخ حسن ودحسونة وقد زين خده الأيمن شلخ حسن ودحسونة ، وعلى الحد الأيسر T. وقال إن الشلخ الثاني قد وضعه والداه تيمناً بالشيخ العبيد ود بدر. ولهذا جمع رجل واحد بين «شلخي» الشيخ حسن والشيخ العبيد تبركاً بالاثنتين وهذه ظاهرة نادرة الحدوث

• ويبدو هذا القصد كالشعبة ، ويرى أحياناً بقصة الشيخ حسن ودحسونة .

(انظر الشكل رقم ٣١) .



الشكل ٣١

وتتضح صورة هذا الانتقال من المضمون القليل الى الوظيفة الدينية للشلوع بصورة أوضح بين اتباع الطريقة السمانية التي انشأها الشيخ محمد عبد الكريم السمانى فى المدينة المنورة ، وعنه اخذها الشيخ احمد الطيب البشير الجموعى (١١٥٥ - ١٢٣٩ / ١٧٤٢ - ١٨٢٤) . وكان الشيخ احمد الطيب قد درس الفقه والعلوم الدينية فى المدينة المنورة ، وهناك انخرط فى سلك الطريقة السمانية . وعند عودته للسودان انشأ له خلوة فى قرية

أم مرح وسط ديار اهله الجموعية . والجموعية فرع من قبيلة الجعليين ، ويعيشون غرب النيل شمال ام درمان . وفى الجزيرة نشرها بين الحلاوين والكواهلة والبعقوباب (وكانوا من اتباع الطريقة القادرية) وغيرهم . وكان الشيخ الطيب ، وهذا هو الاسم الذى اشتهر به ، رجلا صالحا غزير العلم ، ذا مؤلفات صوفية كثيرة .

ويشتهر اتباع الطريقة السمانية فى سائر هذه المناطق بأنهم يتميزون عن سواهم بشلع خاص بهم يعرف بسلم الشيخ الطيب . ويمكن مشاهدة هذا السلم فى ثلاثة اشكال مختلفة ، أولها ، ولعله أشهرها وأكثرها ارتباطا باسم الشيخ الطيب هو السلم ذو الدرجتين $1=1$ (انظر الشكل رقم ٣٢) . ويعرف هذا السلم ايضا « بسلم العقيدة » . وثانيهما هو السلم ذو الدرجة الواحدة H ، والذي سبق ان كان متشرا وما يزال ، بين مجموعات كبيره من الجعليين الذين يكون الشيخ الطيب وأهله من السروراب والجميعاب وسائر الجموعية



الشكل ٢٢

قسما منهم (انظر الشكل رقم ٣٢) ولا شك ان هذا الشلخ كان معروفا قبل مولد الشيخ الطيب ونشره للطريقة السمانية . والصورة الثالثة لسلم الشيخ الطيب . وهو اقلها انتشارا . عبارته عن اربع فصدرات على هيئة مستطيل أو مربع (١) ويقول البعض أنه كان في الأصل شلخ الجميعاب ، بينما يربطه آخرون بالفتيحاب .

ومهما يكن من أمراصل هذه الشلوخ الثلاثة ، فالراحح أدب الشيخين الأخيرين . السلم ذو الدرجة الواحدة والمستطيل كانا معروفين بين أهل الشيخ الطيب في المناطق الواقعة بالقرب من أمدرمان وشمالها فلما عمت الطريقة السمانية تلك المنطقة ربط أتباع الشيخ الطيب من خارج منطقة ملتقى النيلين بين شلوخ أهله والطريقة السمانية فصارت تلك الشلوخ شارة لاتباع الشيخ الطيب . اما السلم ذو الدرجتين وهو أكثر هذه الشلوخ ارتباطا باسم الشيخ الطيب كما يرجع كثير من اتباع الطريقة السمانية . فيبدو انه تطوير للسلم ذي الدرجة الواحدة الذي اقترن بالجعلين كشارة قبلية . وقد أصبحت المصدة أو الدرجة الثانية ليصير السلم ذو الدرجتين الواحدة أكثر دلالة على الطريقة السمانية . وليس هناك أى قرينة تسترشد بها لتحديد التاريخ الذى تم فيه هذا التغير ومع ان اتباع الشيخ الطيب يقولون ان رائد الطريقة السمانية في السودان كان يحمل شلحا . فان جماعة مهم ترجع انه كان يزين وجهه بشارة القبيلة التقليدية .

(١) وتعرف عند البعض « باللاوضة » أى الفرفة

ولعل القصة التالية توضح الاهتمام باليمن والبركة الذي يوليه المحرطون في سلك السمانية بسلم الشيخ الطيب . روى لى احد السادة السمانية ان احد اقاربه فى المدرسة . وهو ممن يتمون لاسرة تدين بالولاء للطريقة السمانية . كان خالى الوجه من الشلوخ عندما فارقه وهما فى الخامسة عشر من عمرهما . وعندما التقى بى مرة ثانية . وكان ذلك بعد مسمى نحو ثمانية أعوام شاهد على خديه آثار فصادة جديدة هى سلم الشيخ الطيب فاستمر عن سر ذلك . خاصة وان الشلوخ تعمل فى سن مبكرة . فقال الرفيق : انه رأى فى مامه صورة وجهه فى المرأة موسوما بسلم الشيخ الطيب . فما كان منه الا ان امثل لذلك التوجيه ووضع ذلك الشلخ تيمنا بالشيخ الطيب وتبركا بتلمحه . وذكر لى احد اتباع الطريقة السمانية من قرية قبدال . الواقعة بـنـرب من قرية ود الحداد بالجزيرة . ما يروى عن الشيخ الطيب أنه قال : "الاسمه على اسمى والشلخه على شلخى ، النار ما بتاكله" . ومع اعتقادهى أن هذا القول قد وضع على الشيخ الطيب فإنه يبين مدى ما يعتقده بعض أـتـباع الطريقة السمانية فى جدوى هذه الشلوخ ودرجة تأثيرها على معتقداتهم الدينية .

وكان البادراب رابع أسرة دبية تثرى المفهوم الدينى للشلوخ والبادراب فرع من قبيلة المسلمية يتبع أفرادها تعاليم الطريقة القادرية ، وقد ارتبط تاريخ القبيلة الحديث بمؤسسها الشيخ محمد بن احمد ود بدر . . . المشيخي البكرى - نسبة للخليفة أبى بكر الصديق . وقد اشتهر زعيمها هذا باسم الشيخ العبد ود بدر . وقد ولد فى قرية الحوارة بالقرب من شندى فى سنة ١٢٢٦ / ١٨١٠ (١) ، وأمه ربة بنت (أبوزيد) من قبيلة الحسانية . وتنتمى بصله القربى إلى أسرة الشيخ صغيرون . وسأ الشيخ العبد محباً للعلم كثير التردد على المساجد رغباً فى صحبة الأولياء وزيارة مقاماتهم . كثير السياحة من قرية إلى أخرى . واستقر به المطاف فى قرية النخيرة الواقعة على بعد نحو أربعين كيلومتراً شرق أم ضان فأشأ « الحلوات » لطلاب العلم وللضيوف من

(١) توفي سنة ١٣٠٢ / ١٨٨٤ .

أُتباعه. وفي سنة ١٨٤٧ انتقل إلى أم ضبان الواقعة على بعد خمسين كيلومتراً شرق الخرطوم بحرى. وهناك تقاطر عليه الطلاب والمريدون من أتباع الطريقة القادرية فشيّد مسجداً وبني الخلوات والمساكن للطلاب والأتباع. فصارت أم ضبان بمثابة مدينة مدرسية تكرم طاقاتها لتدريس القرآن والعلوم وهداية المريدين في سلك الطريقة القادرية.

وتقع أم ضبان موطن البادراب الجديد في منطقة تغلب عليها حياة البداوة حيث يهتم الناس بترية الأبل والغنم، كما هو الحال في منطقة ود حسونة. وكان البادراب فيما يروى يسمّون إبلهم بحرف T ويعرف بمدقاق ود بدر. واتخذ اخفاد ود بدر هذا الوسم سمة لهم كتمييز قبلي ومنهم من انتقل إلى سائر أتباع الشيخ ومريديه فاكتسب مفهومًا دينيًا. (١)

ولكني أميل إلى ترجيح رأي آخر وهو أن الشيخ العبيد قد حمل هذا الشلخ معه من منطقة الحوارة حيث يكثر استعماله في تلك المنطقة كشارة قبلية. ومنه انتقل إلى أحفاده ثم مريديه. ومهما يكن أمر هذا الشلخ فإن قوة العنصر العقائدي في تكوين هذه الأسرة قد مهد لاستيعاب المضمون القبلي للشلوخ وتطويره لمفهوم ديني.

أما المثال الخامس والآخر ولعله أكثر حداثة فيقرن بأسرة الشيخ مصطفى القاداني. والقادانية قبيلة عربية صغيرة ترجع بنسبها إلى محمد بن الحارث بن الإمام علي بن أبي طالب. وقد اختلطت القادانية بالجعليين إختلاطاً وثيقاً فصاهروهم وشاركوهم السكن ومن ثمّ تمثل بعضهم شلوخ الجعليين التقليديّة، بينما ظلت جماعة منهم تحترف حياة البداوة وتسكن في البطانة بالقرب من تميد حاجّ الطاهر. وأمّ حطب وأمّ شديدة وفي منطقة خور الحواد، وتقلّ الشلوخ بين هؤلاء وللقادانية وسم خاص بهم يسمى بالعرج ويختلف في تفاصيله بين أسرة وأخرى ولكن الصورة الغالبة عليه هي عبارة عن رقمي ٨ و ٧ مقرونين أو حرف N (انظر الشكل رقم ٣٣). ويذكر

(١) 2- 131, SNR, I, (1918), J.W.Crowfoot, "Customs of the Rubatab".



الشكل ٣٣

مولانا الشيخ عبدالله يوسف القاضي
ان وسم فادنية الشرق هو ٢٠ وفادنية
الغرب N بينما يضيف البعض
فصدة (على هيئة خط مستقيم) أو
فصدتين فوق العرج أو تحته لتمييز
إبلهم عن غيرها . ولكن هذا
العرج لم يستعمل كشارة للتمييز القبلي
أو الديني قبل هجرة الشيخ مصطفى
الفادني للمنطقة الواقعة شرق
الخرطوم .

وفي نحو سنة ١٨٧٠م ولد الشيخ مصطفى عبد الله أحمد حسين الفادني
بالمحمية وترعرع بين قريتي سقادي الشرق والفادنية في الغرب . وبعد أن
حفظ القرآن الكريم اشتغل بتدريس القرآن الكريم كمادة اهله . وتذكر
رواية انه قد انخرط في سلك الطريقة القادرية في موطنه الجديد ، بينما
تؤكد رواية أخرى أنه كان قد اهتمدى بهدى الطريقة القادرية قبل هجرته
إلى الجنوب . فأبان ما يعرف « بالكسرة » عند الجعليين ، وهي الهجرة التي
تبعت الاشتباك الذي حدث بين الامير محمود ود أحمد قائد جيش المهديّة
المتجه لملاقاة الجيش الانجليزى المصرى ، والامير عبدالله ود سعد رعيم
الجعليين فى المتمة فى يونيو سنة ١٨٩٧ ، يروى أن الشيخ مصطفى الفادني
قد هاجر إلى المنطقة الواقعة شرق الخرطوم بحرى . وربما هاجر فى صحبة
جيش الامير عثمان دقنة المتجه لأم درمان فى ذلك الوقت .

وفى المنطقة الواقعة شمال شرق الخرطوم بحرى استقر الشيخ مصطفى
بين بعض أهله من الفادنية الذين كانوا قد وفدوا إلى تلك المنطقة منذ أمد
بعيد . وهناك وجد الشيخ مصطفى ترحيبا من الشيخ الأمين ود بله أحد خلفاء
الطريقة القادرية . فلما استقر به المقام زار الشيخ أحمد ود بسر خليفة الشيخ

العبيد ود بدر في أم صبل . وأخذ عليه الطريقة القادرية « وائس الضقيه »
وهي عملية تدل على المكانة الرفيعة التي يتمتع بها الشيخ مصطفى القادري في
سلك الطريقة القادرية . ونعني ضمناً حق إعطاء طريقه للأتباع والمريدين

وبالقرب من عدد لبعض المعازنه استقر الشيخ مصطفى القادري
وأسس الخلوى وأحد يدرس القرآن وبرشد المريدين والأتباع فتواعد عليه
الطلاب من كل حدب وصوب كما تدفق عليه المريدون من أتباع الطريقة
القادرية لما اشتهر به من تقوى وورع . وحل في موضعه الذى عرف باسم
الشيخ مصطفى القادري حتى وفاته في سنة ١٩٤٣ .

وهناك أخذ أتباعه ، وكان كثير منهم من أبناء عدومته . بصعون العرج
وهو رسم القادرية على وجوههم تيمناً بالشيخ مصطفى القادري وتبركا به على
عادة جيرانهم البازاب . وصار العرج سارة ديبية تميز أبناء الطريقة القادرية
من أتباع الشيخ مصطفى القادري وأهل على حد سواء . وفي هذا الأطار
الدينى اكتسب العرج وظيفة جديدة . وقد أكد لى الشيخ موسى سعيد وهو
من دوى القربى للشيخ القادري . أنه سمع بأن الشيخ قد شلخه بنفسه .
فوضع « العرج » على خده الايمن وناب لى على خده الايسر .

واختتم حديثى عن المضمون الدينى للشلوخ بملاحظتين هامتين :
أولاهما أن هذه الشلوخ تقتصر على الرجال دون النساء . ومع أن النساء
يكررن من التردد على أتباع الطرق الصوفية وحلفائهم . كما يكررن من
زيارة الأضرحة بقصد الركعة فلم شاهد امرأة واحدة تحمل شلخ دا مضمون
عقائدى . ولعل تفسير ذلك أن النساء كن أكثر افتتاناً بالشلوخ ذات الصفة
الجملالية . واكتفين بوضع شارات شيخ العقيدة على حدود اسانهن

والملاحظة الثانية تدين أن الشلوخ بعد أن اردهرت فى المنطقة اوسطى
من حوص وادى النيل الاوسط . وهى منطقة ذات عمق تاريخى .
واكتسبت مضمونا قبلها انتقلت إلى الاقليم الواقع جنوب ديار الجعليين أو
على أطرافه حيث اقبست مضمونا ديبيا بواكب روح الأخوة والود الى

أشاعتها الطرق الصوفية بين مريديها، وأن المشايخ الذين ارتبطت أسماؤهم بهذا المفهوم الحديدي كانوا حلهم من أتباع الشيخ عبد القادر الجيلاني وأنهم قد نشأوا باستثناء الشيخ إدريس ود الأرباب في ديار الجعلين . وإذا ما استشينا ديار بعض أتباع الطريقة السماوية وكذلك موطن أتباع الشيخ إدريس ود الأرباب نجد أن المناطق الحديدة كانت تغلب عليها حياة البداوة . ولكن الشلوخ ذات الطابع الطائفي . زعم محاولتها لمحو روح القبلية من أتباع الطريقة . لآخلو من أنها ربي تعكس في بعض مظاهرها شيئا من بوادر المنافسة الخفية بين مشايخ الطرق الصوفية أنفسهم

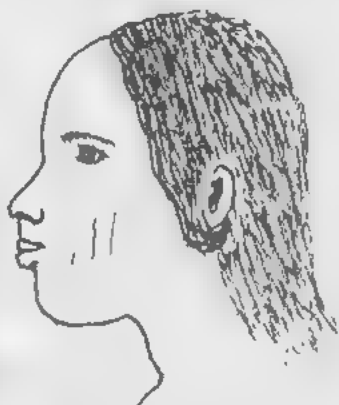
المضون الجمالى للشلوخ

ارتبطت عادة الشلوخ فى مبدأ الأمر كما أسلفنا ، بأنها شارة قبلية تميز قبيلة عن أخرى خاصة بين الرجال . ويبدو لى أنه لما قلت الحاجة للتمييز بين بيت القبائل لاستتباب الأمن عامة ونتيجة التداخل بين تلك الجماعات القبلية اكتسبت الشلوخ مفاهيم جديدة منها الجمالى والدينى . ومع أن النساء كن فى مبدأ الأمر . فيما يرجع ، يلتزم بتلك الشارات القبلية كالرجال تماما الا أن قلة تعرضهن للأخطار (وهن فى الحضر) ، وعدم خروجهن خارج حمى القبيلة جعل الاحتفاظ بالشلوخ ذات المفهوم القبلى أقل ضرورة لهن .

ولكن تشريط حدود النساء بتلك الشارات القبلية ، مع ماتحدثه من تشويه لخلفه الخالق ، جل صنعه ، قد خلقت نوعا من الاعتقاد بين عامة الناس بأنها تفضى حسناً وجمالا على المرأة . بل تكسب وجهها سحرا . ولاشك أن الشلاخات (جمع شلاخة) قد أبقيت على الشارات القبلية فى صورتها التقليدية البسيطة التى تشبه شلوخ نساء البادية فى وقتنا هذا دون



الشكل ٢٥



الشكل ٢٤

زخرف أو صنعة انظر (الشكلىين ٣٤ و ٣٥) . ولكن بمرور الزمن اتسمت تلك الفصدرات عند نساء الحضرة بالطول والعمق والتنوع . وصارت عملية التشليخ مهنة فنية دقيقة تقوم بها شلاخات متخصصة يتوسمن فى صنعتهم مايرضى الذوق وما يناسب وجه المرأة . (١) ويلاحظ ان عامة شيوخ السودانين كانوا يفضلون الشلوخ الطويلة العريضة العميقة المرسومة على وجه عريض (أو مستدير) ومكتنز باللحم اذ انها تبدو منتفخة ومن ثم اكثر جاذبية منها على المرأة النحيفة .

ويبدو لى أن السودانين قد تأثروا بهذا المفهوم الجمالى من عملية الوشم التى تزين وجوه كثير من النساء فى أجزاء كبيرة من الشرق الأوسط . ولكن سواد بشرة السودانيات قد لايساعد كثيرا فى إظهار الوشم ولذا تقل قيمته الزخرفية . ولهذا اكتفين بأجراء عملية الوشم على الشفتين واللثة كما هو الحال عند كثير من السودانيات حتى وقت قريب . ومن ثم وجدن فى الشلوخ زينة تعوضهن عن الوشم . وأخذ بعض الشعراء يتغنون هـ بالفتاة المشلخة هـ فزوجوا لهذا المفهوم الجمالى المستحدث حتى صارت المرأة اكثر اقتناا وتمسكا به . وتأصلت تلك العادة أو «الموصة» بين كثير من السودانيات فى الحضرة والبادية وانتقلت الى المصريات والشاميات اللاتى استوطن فى هذه الديار مؤخرا ، كما أخذ بها بعض المولدين . (٢)

(١) عادة ما يرسم الشلاخ أو الشلاخة انشلوخ التى ترغب فى وضعها بخطوط من « قلم » قبل ان يجرى الموصى عليها ثم ينزع الجلد المجروح . ويستعمل المص قالد من حبل يحدون به المواضع التى يرغبون فى احراء الموصى عليها . وبعد الفراغ من العمية الجراحية ينزع الجلد الخارجى من الخد ويصب بعض الزيت عليه حتى يلتئم .

(٢) ابن السودان (الشيخ عبد الرحمن احمد) فى الصدرات ٣ . الشلوخ . مجلة الهبة السودانية ، العدد ١٦ ج ١٩٣ ، ص ١٤ . ويبدو ان بعض الاماء اخذن بهذه العادة لتكسيهن جمالا . وقد جاء فى وثيقة بيع أمة ، صدرت فى عهد السلطان على دينار فى يوم ٢١ رمضان ١٣٣٢ هـ / ١٣ اغسطس ١٩١٤ ، انها حادمت سلامته جبلاوية مشلخة الحدين بلدى - ولعل كلمة بلدى تشير الى الثلاثة شلوخ العمودية .
واشكر الدكتور دكن اوفاهى الذى دلى على هذه الوثيقة .

وقد روى الرحالة صمويل بيكر . بعد زيارته لعرب الحمرا في منطقة القصارف في سنة ١٨٦١ . ان النساء العربيات يتمتعن بقدر كبير من الجمال، ولكن مما يؤسف له أن جمالهن هذا قد شوهته الثلاث قصصات التي توضع على كل خد . وقال إن هذه الشلوح تعتبر زخرفا وريئة رغم ما تحذنه من تشويه . (١) وقد أورد الرحالة الفرنسي كايو الذي زار السودان في معية الجيش التركي المصري في سنة ١٨٢١ . صورتين لفتتين مشلختين من شندی وسنار ، ويزين وجه الفتاة الاولى أربعة شلوح مطروق على كل خد ، بينما يزين خد الفتاة الثانية ثلاثة شلوح عسودية في كل خد . (انظر الشكلين رقم ٣٦ و ٣٧) (٢) .



الشكل ٣٦

ولا تختلف شلوح النساء عن الشلوح التقليدية عند الرجال كثيرًا، إذ أن كثيرًا من النساء قد أبقين عليها مع تعديل في طولها وعرضها مما يساعد على انتفاخ موضع الجرح حتى تبرز الناحية الجمالية للشلخ. فتجد نساء الشايقية والمناصير يحافظن الثلاثة (وأحيانًا أربعة) خطوط الافقية (انظر الشكلين ٣٨ و ٣٩)، ولكنهن ككثيرات من نساء حوض

وادي النيل الاوسط أخذن يفضلن الثلاثة شلوح المطارق السائدة عند الجعليات. كما أن بعض الجعليات أخذن يفضلن « العارض » وهو الشلخ السائد بين نساء العبدلاب و « العارض » عبارة عن الثلاثة شلوح الرأسية ولكنه يستند

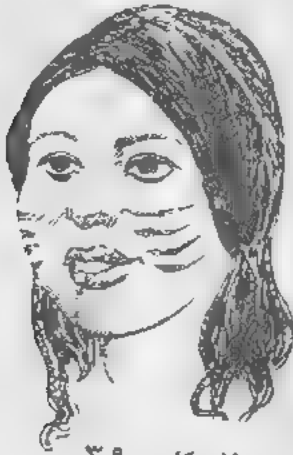
(١) Samuel N Baker, *The Nile Tributaries of Abyssinia and the Sword Hunters of the Hamran*; London, 273.

(٢) F. Caillaud, *Voyage à Meroc et au fleuve blanc dans les annes* 1819, 1820, 1821, et 1822, Paris, 1826, Volume, II, P. 240 - 41, 336 - 37.

على شلخ أفقي (انظر الشكل رقم ٤٠) . وهناك شلخ بعارضين كما في الشكل ٤١ .



وقد أدخلت إصابات أخرى على الثلاثة شلوخ كإضافة فصدة قصيرة



تربط بين مطرقين من الثلاثة مطارق ، ويسمى هذا الشلخ (بوجع القلب) . ومن الشلوخ المستحدثة أيضا التمرابي وهو عبارة عن حرف ٢ (وتكون مقلوبة أحيانا) تتوسط خطين عموديين III . وهناك (الطبير) وهو عبارة عن ضلعي مثلث يتوسطهما من أسفل خط

يا عابد اللالوبه يا واقف حتمه (١)
أرحم حالة روحى مفارقة الحتمه (٢)

ويقول ثانى :

ما ذبنى الزول الشلوخه تمنية
بينى وبينه دول الانجليز والمانية
يا عابد اللالوبه زاهد الفانية
أرحم حالة روحى مدندنة فانية

ويقول الشاعر عمر البنا فى وصف محبوبته التى يزين خدها الشلوخ المعروف
(بالتقرايى) :

الظبي الساكن قلبى دائما طارقو
يلمع سيف لحاظو يفتلك سانو وطارقو
التقرايى يضوى فسوق خدودو مطارقو

ويقول الشاعر التيجانى يوسف بشير فى قصيدته المصير :

يرف عليه شباب الفنون وتبرق فى وجنته الفصد
وينسب الى الشاعر الحردلو أغنية : « درب الطير » التى يقول فيها :

قوم بينا . . حلو درب الطير . . فى سكينه
شئ جميل يا ناس . .

ويقول عمر البنا فى آخر قصيدة « أمتى أرجع لأمدر واعودا »
هنأى ومنية روحى ومقصودا اشوف « رشيم » بين فصودا

(١) اللالوبه : صيحة اللالوب .

(٢) أى ثمانية شلوخ مطارق ، كل أربعة على خد « أو شلتها عارض »

عمودي ↑ . وغالبا مايوضع هذا الشلح منفردا (دون ان يحيط به خطان) كما



هو الحال عند بلو كرفان (انظر الشكل رقم ٤٢) وهناك شلح صغير ثالث يعرف بالرشيم اشبه بالحرف T ولكن قاعدته مائلة T وحقيقة الامر ان أسماء الإضافات هذه تختلف من منطقة لآخرى وإن كانت ترمز إلى شيء واحد .

وقد تغني بعض الشعراء . السودانيين بسحر الشلوح مثل ماتنزل فيها بعض شعراء العرب الذين أوردنا نماذج لشعرهم فيما سبق

فيقول الطيب ود ضحوية وهو من شعراء البادية : الشكل ٤٢

قولي لي بت عبيد قلبا شجيع انمله (١)

ومن عيدا معاك بقت الكراع منمله (٢)

دي الشلاخه أجمل من دكاكر السله

باركيه اتياركووا عليك في شان الله (٣)

و بصف اثنان من شعراء الدوبيت محبوبتهما في مباراة من الدوبيت يقول
الاول :

ماذيستي الزول آبي شلوحنا سنة (٤)

ييني وينيه فرقائن شططة (٥)

(١) انمله : ذاب وتآلم .

(٢) منمله : سطلة .

(٣) دكاكر : مفرد ما ذكرى وهو نوع من السيوف . السله : أى المملولة . ولعل اشاعر لا يقصد تشبيه الشلح بالسيف ككل انما اراد تشبيهها ببحر السيف وهو الخط المستقيم الذى يرسم وسط السيف الذكرى الذى هو هو اشبه بالشلح « اطارق » .

(٤) أى سنة شلوح مطارق .

(٥) فرقائن : مسافات . شطه : سرعة .

ويعني التاج مصطفى في قصيدة « الذوق والجمال » للشاعر عبد الرحمن
الريّح أيضاً :

الذوق والجمال والحنود « السادة »

أدو قلبي النار حرقوه زيادة

ويعني التاج مصطفى أيضاً في أغنية « لونه الحمري » :

السادة لونه خمري قلبي جباه .

ويقول الشاعر عبد الرحمن الريح في أغنية « الشادن » :

فأق السلاح وكمر حديد

نقراي في صفحة حديد

وهناك من الشعراء من لا يحب الشلوخ في النساء . ويميل إلى من
لا شلوخ لهم ، « أى سادة » .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر إبراهيم العبادي : (١)

دون « قصاده » سواك المسك

والإبرار ما لمن شفاهك

ويقول محمد الفكي حمد الشكري . وهو من شعراء البادية :

سخله ود فهيدام روبة ملروعة (٢)

بعامية « ساده » مهله وملروعة (٣)

نفسك برتكان قامتك مربوعة

عاشقك حاكي سجاعة بل المجزوعة (٤)

وتظهر عملية رفض الشلوخ في كثير من الأغاني الحديثة التي اشتهرت في
الخمسينيات .

فيقول المطرب حسن عطية في أغنية . انت حياتي « للشاعر عبد
الرحمن الريح » :

ما شو هوك بفصادة

للخدود السادة

-
- (١) محمد عبد الرحيم ، ففشات البراع في الادب والتاريخ والاجتماع ، ص ١٠٦ .
 - (٢) السلخة : صغيرة الغلباء ، ود فهيد : موقع اشتهر بجمال ظبائه ، الروبة : الشعر الكثيف
 - (٣) الروبة المدروعة : ذات الشعر الكث في شكل ضفائر .
 - (٤) بعامية : الظبية التي ليس لها قرون .
 - (٥) السجاعة : القمرية ، بل : موقع على نهر اتره شمال فوز رجب ، المجزوعة : الحريشة التي مات صغيرها .

انقراني فوق شلحه الأول وهو العرج وهو شاب دون العشرين من عمره عند موت أخته خوفاً من أن يموت حزناً عليها. فصارت هيئة الشلخين كالآتي \overline{N} . ويروى المؤرخ محمد عبد الرحيم أن القصد من الشلوخ هو تحصين الطفل من العين . ولكنني لم أجد من يؤكد هذا الرأي بين من سألتهم من السودانيين .

وبصيف المؤرخ محمد عبد الرحيم أن العرب كانت تخاف العين فأتخذت الشلوخ للوقاية منها فبدلاً من أن تكتب كلمة « كافى » أحد أسماء الله الحسنى اكتفت بوضعها بحساب الجمل أى (١١١). وقد تعرضنا لهذه النقطة من قبل ورأينا أنها لا تستقيم مع حساب الجمل (١). ومن الطريف ان أحد الرحالة الأوربيين الذين زاروا البدو النازلين بالمنطقة الواقعة شرق البحر الميت في أول هذا القرن يروى قصة تعكس ما يعتقده بعض العرب عن السحر ، قال :

« فى أحد الأيام سألت أحد صبيان العرب عن التشاريط التي شوهته فردّ بأنّه عندما كان صغيراً كان بالغ الوسامة لأنّ الله قد حباه بالجمال وكان الجيران يعجبون بذلك الجمال ويشنون كثيراً عليه لأنّ الفتى ولما كانت تخشى حسد الحاسدين وحتى لا تصيب العين ابنها قامت الأم بعمل هذه الفصادات على تخديده بالموسى » (٢).

ومع ما فى هذه القصة من دلالة ؛ لكنني لم أجد ما يؤكد مثل هذا التقليد فى السودان .

(١) محمد عبد الرحيم ، مخطوط يحوى مقالات مختلفة عن القبائل والمادات والتعليم
المستوفى ٣٤ قطعة ١ ، دار الوثائق المركزية ، الخرطوم .

(٢) A. Jaussen, *Coutumes des Arabes au Pays de Moab*, Paris 1908, 370.

الشلوخ والاسبار

يصر الدكتور عون الشريف قاسم السَّيْبِر (وجمعه أسبار) بأنه نوع من السحر يعرقل على الإنسان حياته (١) . وتتخذ الشلوخ للتخلص من السبر أو العارض ذى المفعول المماثل . فالطفل اندى يُولَدُ بعد عدد من الأطفال الذين ماتوا فى مهدهم أو فى سن معينة فادّ والديه قد يغيرون شلخه القبلى التقليدى يوضع شلوخ قبيلة أخرى . فمثلا قد يضعون شلوخ الشايقية الأفقية بدلاً عن شلوخ الجعليين العمودية . ويعتقد الناس إنهم بفعلهم هذا يغيرون ملامح الطفل ويموهونه على ملك الموت ، لأنه لا يجد الشلوخ التقليدية لأبيه على خديه وبذلك يؤملون أن يكتب الله لطفلم البقاء . وإذا وُلِدَ طفل بعد موت والده فأنهم قد يشلخونه شلخا غير الشلخ المألوف عند أهله أو (شلخ والده) حتى لا تعرف عليه روح ابيه ويختطفه الموت . وربما يضعون شلخاً عمودياً واحداً لنفس السبب حتى لا تخلق روح الميت فوق الابن (٢) . وقد أفادنى شاب من منطقة الرباطاب كان يزين وجهه شلخ غريب على هيئة = ١ . ان ذلك الشلخ قد وضع على خديه عند مولده حتى لا تزعجه ارواح إخوته الذين ماتوا فى مهدهم . وقد رأيت شاباً يزين خده خطان عموديان ١١ ، ١١ وآخر يحمل خطين عمودين فوقها ثالث أفقى TT .

ويوضع درب الطير ↑ أو حرف T (وهو شديد الشبه بالصليب كما نوهت من قبل) مضافاً للشلوخ ذات المضمون القبلى أو الطائفى أو الزخرفى للدلالة على الحزن عند موت عزيز من الأهل . وقد روى لى شيخ فى الستين من عمره أن أهله قد فصدوه فصدات صغيرة تشبه درب الطير أو

(١) عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية فى السودان ، الخرطوم ١٩٧٢ ، ص ٣٣٥

(٢) Sayid Hamid Hurriez, *Brith,, Marriage, Death and Initiation*

Customs and Beliefs in the Central Sudan, M.A. Thesis, Leeds University, 1966, P. 98.

قريب . أن الشلوخ تضي على المرأة حساً وجمالاً ونكسها جاذبية وسحراً
لذلك انتشرت بين كثير من السودانيات في الحضر والبادية .

هذه بايجاز الوظائف الثلاث التي اقترنت بعادة الشلوخ التي عمت
أجزاء كثيرة من البلاد خارج المنطقتين الوسطى لحوض وادي النيل . ولكن
من حسن الحظ . فانه لا انتشار الوعى التقابلي قلة التمسك بهذا التقليد . مهما
كانت وظيفته . حتى كاد أن ينقرض . ولم يعد رائجاً إلا في بعض المناطق
النائية التي تلب عليها الزعة التبعية أو التعصب الطائفي أو المقاييس الجمالية
التقليدية .

خاتمة

يتّضح من هذه الدراسة أنّ الفصديات أو الشلوخ التي تزين حدود كثير من السودانيين عادة قديمة عرفت في المنطقة الوسطى من حوض وادى النيل الأوسط قبل الهجرة العربية للسودان بمئات السنين . كما عرفت في أجزاء متعددة من القارة الأفريقية فلما هاجر العرب إلى السودان اقتبسوا هذه الشلوخ وجعلوها سمة تميز قبيلة عن أخرى كالوسم الذي اعتاد العرب وضعه على إبلهم في الجزيرة العربية ليتعرفوا به عليها إذا ضلت أو سرت . وإعطاء هذه الفصديات سمة تميز قبيلة عن أخرى هو تجسيد لمفهوم ثقافى جديد اقتضاه التلاحم العربى النوبى . ومن ثم أصبحت الشلوخ سمة تميز أفراد المجتمع السودانى الجديد المتمثل للثقافة العربية أولاً وأداة تميز بين القبائل العربية أو المجموعات المستعربة التي تكوّن سكان المنطقة الوسطى من حوض وادى النيل الأوسط . ومن هذه المنطقة انتقلت الشلوخ إلى بعض أقاليم السودان الأخرى على سبيل التقليد أو نتيجة الاختلاط .

ولما حلّ الإسلام محلّ المعتقدات المسيحية والوثنية التي كانت تسود في سودان وادى النيل الأوسط وكتب الغلبة لتعاليم الطرق الصوفية اكتسب مشايخ الطرق الصوفية إحتراماً وتأييداً من أتباعهم ممّا مكّنهم من بسط نفوذهم الطائفيّ خارج أطير المجتمعات القبلية التي ينتمون إليها . فأصبح نفوذ الشيخ الصوفى وتعاليمه تمتد خارج التقسيمات التقليدية . وقد أدّى هذا التطور إلى ظهور تجمعات طائفية تتركز على الولاء لشيخ الطريقة ، وهو ولاء أكبر وأشمل من الولاء لزعيم القبيلة . واتخذ بعض المشايخ وأتباعهم الشلوخ أداةً أو رمزاً لهذا المضمون الدينىّ الذي يرتبط بين أفراد الطريقة الواحدة ويوحّد بينها .

واكتسبت الشلوخ مضموناً ثالثاً وهو اعتقاد عامة السودانيين ، حتى عهد

عبد الله احمد يوسف : كتاب النخيل نسخة خطية بحوزة السيد عبد الرحمن عبد الله وزير الخدمة العامة والاصلاح الإدارى الخرطوم .

عبد الله البستاني : البستان ، بيروت ، ١٩٢٧ ، ج ١ .

عون الشريف قاسم : قاموس اللهجة العامية فى السودان . الخرطوم ١٩٧٢ .
الكتاب المقدس : أى كتب العهد القديم والعهد الجديد - نشر جمعيات الكتاب المقدس المتحدة ، ١٩٦٥ .

محمد أدروب أوهاج : من تراث البجا الشعبى ، شعبة أبحاث السودان ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧١ .

محمد صالح عبد الرحمن : الشلوح فى السودان عامة . وخاصة عند الحعليل والشايقية والعبدلاب ، بحث خطى ، كلية الفنون ، ١٩٧٤ / ٧٣ ، الخرطوم .

محمد عبد الرحيم : مخطوط يحوى مقالات متنوعة عن القبائل والعادات والتعليم . صندوق ٣٤ ، خطه الى دار الوثائق المركزية ، الخرطوم .

محمد عبد الرحيم : نقثات البراع فى الأدب والتاريخ والاحتماع . الجزء الاول ، الخرطوم (د ث) .

نعموم شقير : جغرافية وتاريخ السودان . بيروت ، ١٩٦٧ .
يوسف فصل حسن : دراسات فى تاريخ السودان ، الجزء الأول ، الخرطوم . ١٩٧٥ .

ثبت المراجع والمصادر

الكتب العربية

إبن تغرى بردى الاتابكى : جمال الدين أبو المحاسن « المجموع الزاهرة ملى ملك مصر والقاهرة (د.ت) .

إبن السودان (عبد الرحمن أحمد) : فى العادات الشلوخ - مجلة النهضة السودانية العدد ١٦ (١٩٣٦) .

إبن صيف الله . محمد النور : كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان - تحقيق يوسف فضل حسن ، الخرطوم ، ١٩٧١ .

إبن قتيبة : الشعر والشعراء ج ١ / ٣٦٩

أبو الفرج الإصمهانى : كتاب الأغاني . طبعة بولاق (د ت) ج ٧ .

أحمد الحفنى القنائى الأهرى : ساطع الأنوار فى خلاصة ما حاء فى هجرنى الصحابة إلى أرض الحبشة وما يتعلق بأهلها من الآيات والأحاديث والآثار بولاق ، ١٣١٢ .

أحمد رضا : معجم من اللغة ، بيروت ، ١٩٥٩ .

آدم الزين التراث الشعبى لقبيلة المسيبات ، شعبة أبحاث السودان ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٠ .

البخارى . محمد بن إسماعيل . صحيح البخارى . القاهرة (د ت) ج ٧ .

الزبيدى . محمّد الدين أبو الفيص السيد محمد مرتضى الحسينى السواطى : شرح انقاموس وتاج العروس من جواهر القاموس . الطبعة الأولى ، الجمالية ، مصر ، ١٣٠٦ هـ ، ج ٢٢

الصدىق حضرة : نسبة الفكى الصديق حضرة . مخطوط ضمن مجموعة ما كميكل بدار الوثائق المركزية - الخرطوم .

مصادر بلغات اورویہ

- Ali Bey, *Travels of Ali Bey in Morocco, Tripoli, Cyprus, Egypt, Arabia, Syria, and Turkey between the Years 1803 and 1807*, London, 1816.
- Samuel N. Baker, *The Nile Tributaries of Abyssinia and Sword Hunters of the Hamran*, London, 1868.
- R.F. Burton, *Narrative of Pilgrimage to Meccah and Medinah*, London, 1879.
- F. Cailliaud, *Voyage a Meroe et au fleuve blanc dans les annees 1819, 1820, 21, et 1822*, Paris, 1826, 4 Vols.
- Andrew Chrichton, *History of Arabia and its People*, London, 1885.
- J.W. Crowfoot, "Customs of the Rubatab", *Sudan Notes and Records S.N.R.* I 1918 PP. 119-134.
- De Villard, "Teste Meroitici della Nubia Settentrionale" *KUSH*, VIII, (1960) PP. 88-124.
- W. Emery and L.P. Kirwan, *Excavations and Survey between Wadi es-Sabua and Adindan 1929-31*, (Service des Antiquités de l'Egypte, Mission Archéologique de Nubie (1929-34) Cairo, 1935, Vol. I.
- Encyclopedia Biblica*, Jerusalem, 1962.
- J.C. Foelich, "Catalogue des Scarifications en usage chez certaines populations du Dahomey et Nord TOGO", *Melanges Ethnologiques*, No 23, (1953), I FAN, DAKAR, pp. 253-265.
- C. Snouck Hurgronje, *Mekka in the Latter Part of the 19th Century*, London, 1931.
- A. Jaussen, *Coutumes des Arabes au Pays des Moab*, Paris, 1908.
- S. Johnson, *The History of the Yorubas*, Lagos, 1937.
- L. Keimer, "une Petite tête romaine en terre représentant une Soudanais avec cicatrices faciales" *Bulletin Société Archeologie d'Alexandrie*, No. 40 (1959).
- H. Karl W. Kumm, *From Hausaland to Egypt through the Sudan*, London 1910.
- Vincent Le Blanc, *The World Surveyed*, London, 1960.
- C.R., Lepsius, *Denkmal, Aus Aegypten Und Aethiopien*, 12 Vols, 1849-59, Berlin.

Secton Lloyd and Fuad Safar, "Tell Hassuna, Excavations by the Iraq Government Directorate General of Antiquities in 1943 and 1944" *Journal of Near Eastern Studies*, (1945) P. 281.

H. A. MacMichael, *Camel Brands Used in Kordofan*, Cambridge, 1913
A History of the Arabs in the Sudan, London, 1922.

Otto Meinardus, "Tatto and Name: A Study on the Marks of Identification of the Egyptian Christians" *Wiener Zeitschrift für die Kunde De Morgenlandes*, Band, 63-64, 1972, 28-29.

Joan Oates, "Choga Mant, 1967-68. A Preliminary Report, IRAQ, 3, pp.

J. Morgenstern, *Rites of Birth, Marriage, Death and Kindred Occasions among the Semites*, Chicago, 1966.

R. Randall, Melver and Leonard Woolley, *Areika*, Vol I, Oxford, 1909.

C. Renfrew, *The Emergence Civilization: The Cyclades and Aegean in The Third Millennium B.C.*, London, 1972.

J. Vantini, *the Excavations at Faras: A contribution to the History of Christian Nubia*, Bologna, 1970.

Arnold Von Hariff, *The Pilgrimage of Arnold Von Hariff which was Accomplished in the Years 1496 to 1499*, London, 1946.

H. Von Maltzan, *Miene Wallfahrt nach Mekka*, Leipzig, 1865.

Sadik Nur, "Two Meroetic Pottery Coffins from Argin in Halfa District, KUSH, IV, (1956) 86-87.

Sayid Hamid Hurriez, *Birth, Marriage, Death and Initiation Customs and Beliefs in the Central Sudan*, M.A. thesis, Leeds University, June 1966.

C. G. Seligman, *Pagan Tribes of the Nilotic Sudan*, London, 1832.

P. L. Shinnie, *The Iron Age*, London, 1971.

P.L. Shinnie, *Meroe, A Civilization of the Sudan*, London, 1967.

R. Smith, *Kinship and Marriage in Arabia*, London, 1907.

J. R. Wellsted, *Travels in Arabia*, London, 1839, VOL.1.

G. Leonard Wooley and D.R. Melver, *KARNOC, The Roman Nubian Cemetery*, Philadelphia, 1910, Vol. III.

Yusuf Fadl Hasan, *The Arabs and the Sudan*, Khartoum, 1973.

محتويات الكتاب

- ١ - الأهداء
- ٢ - تصدير
- ٣ - مدخل
- ٤ - الشلوخ في العالم القديم
- ٥ - الشلوخ في السودان
القديم قبل الهجرة العربية
- ٦ - الشلوخ في أفريقيا الاستوائية
- ٧ - الشلوخ عند العرب في العصر الحديث
- ٨ - الشلوخ في السودان بعد الهجرة العربية الإسلامية
- ٩ - نماذج من الشلوخ ذات المغزى القبلي
- ١٠ - الوظيفة الدينية للشلوخ
- ١١ - المضمون الجمالي للشلوخ
- ١٢ - الشلوخ والأسبار
- ١٣ - خاتمة
- ١٤ - ثبت المراجع والمصادر

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٨٩ / ٨٩٩٣